درس الجمعة بالأزهر

للشيخ صالح الجعفري

الجزء التاسع

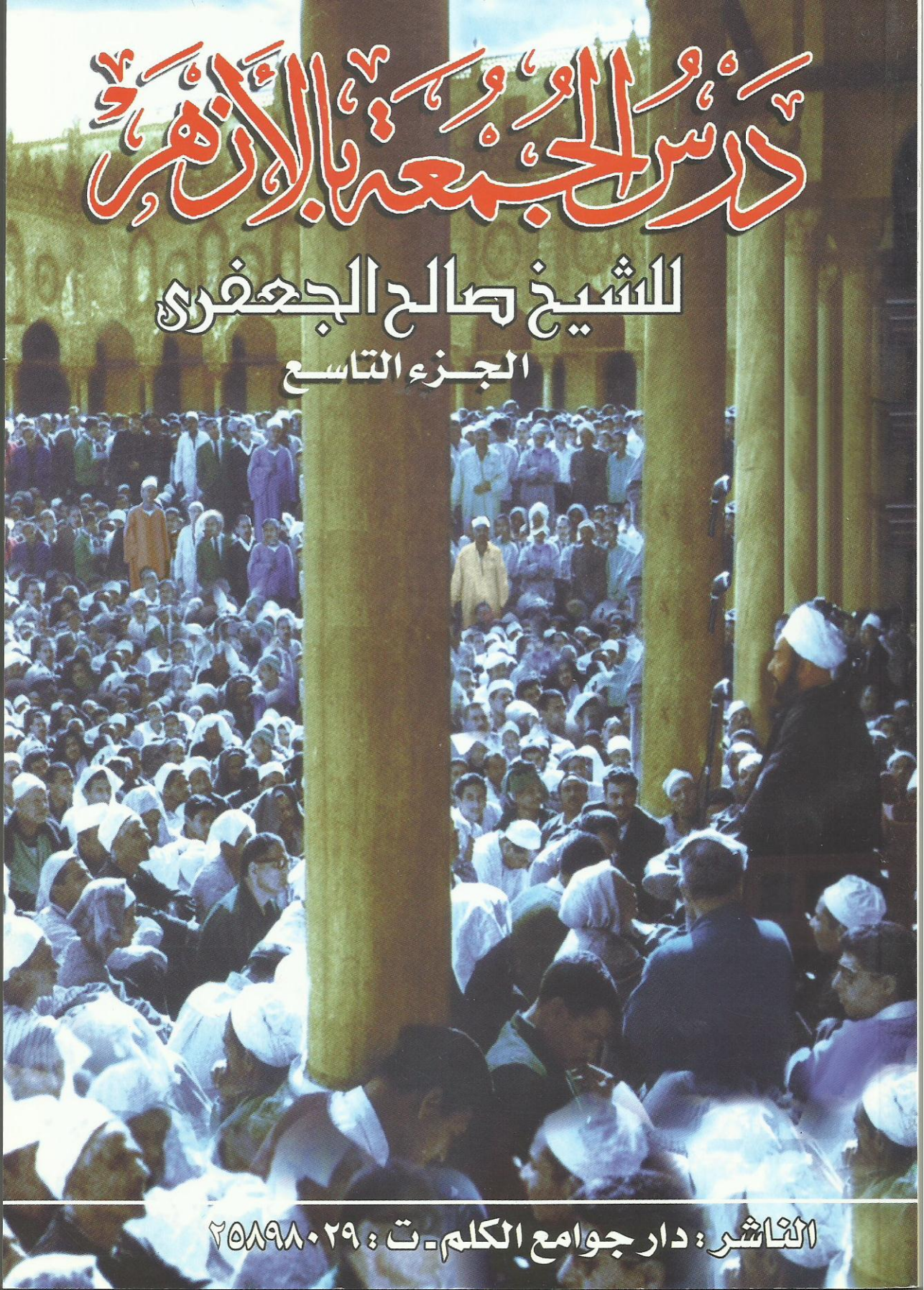

الناشر: دار جوامع الكلم - ت: ٢٥٨٩٨٠٢٩

صورة العارف باللّه تعالى الإمام الأزهرى
الشيخ صالح الجعفرى رضى اللّه تعالى عنه
مؤسس الطريقة الجعفرية

صورة سيدى الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية الأحمدية
المحمدية بمصر والعالم الإسلامى

درس الجمعة بالأزهر

للعارف بالله تعالى

سيدى الشيخ صالح الجعفرى

إمام ومدرس بالجامع الأزهر الشريف

ومؤسس الطريقة الجعفرية

وصاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف

الجزء التاسع

الطبعة الأولى

الناشر

دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى

الدراسة القاهرة - ت : ٢٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين .

ورضى الله تبارك وتعالى عن آله الأطهار الطيبين ، وعن صحبه الأخيار المقربين ، وعن التابعين وتابعيهم بصدق إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن الله تعالى أظهر فضل العلم وأهله بقوله فى القرآن العظيم : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) حيث بدأ فى الآية الكريمة بنفسه ، وثنى بملائكته ، وثلث بأهل العلم ، وكفى بذلك شرفا وفضلاً ، وقال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) قال ابن عباس فى تفسير الآية : (للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام) .

ونبينا المصطفى ﷺ يجعل العلم مقارناً لدرجة النبوة حيث يقول : (فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى) رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وقال ﷺ : (يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) فانظر كيف جعل مرتبة العلم تالية لمرتبة النبوة ، ومتقدمة على مرتبة الشهادة مع ماورد فى الكتاب والسنة من فضل الشهادة والشهداء !

وقد نقل عن فتح الموصلى رضى الله عنه أنه قال يوما لأصحابه : أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت ؟ قالوا : بلى . قال : كذلك القلب إذا منع عن الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت .

وقد أشار شيخنا الإمام الجعفرى رضى الله عنه إلى هذا المعنى عندما قال فى حكايته عن سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه :

يقول حياتنا ذكر وعلم وقرآن له للحفظ سور

نموت إذا تركنا أو غفلنا وأرض العزِّمنا قد تمور

وقد كان رضوان الله تعالى عليه يسير على هذا النهج ؛ فكنا نرى نهج النبى ﷺ والصحابة الأكرمين فى أقواله وأفعاله ، وعاش فى سياج منيع وحرز حصين ، وعز عزيز وسعادة غامرة وكرامة ظاهرة ، ونفع الله بعلمه ، وكتب له بقاء الأثر وارتفاع الذكر ، وهكذا يكون الحال لمن أحبه واقتفى أثره وعمل بعلمه ، فيكون خير خلف لخير سلف .

وإن كتاب (درس الجمعة) الذى وصل الآن إلى جزئه التاسع لهو خير معوان لمن يريد أن يقتفى أثر الشيخ ، ويسير على دربه ، لما اشتمل عليه من فقه وأحكام وتفسير للقرآن الكريم، وما فيه من مواعظ جليلة وحكم بالغة تفتح أبواب الوصول لمن أراد الدخول ، قال تعالى : (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) وقال : (يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) .

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما فى هذا الكتاب من علم وتوجيه وإرشاد وأن يوفقنا للسير على نهج مؤلفه الذى هو امتداد لنهج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين . والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

عبد ربه الغنى

الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى

شيخ الطريقة الجعفرية

الدرس الثامن والثمانون

فى تفسير قول الله تعالى :

﴿ سبِّح اسمَ ربِّكَ الأعلى (١) الذى خلق فسوَّى (٢) والذى قدَّر فهدى (٣) والذى أخرجَ المرعَى (٤) فجعلَهُ غُثاءً أحْوى (٥) ﴾ . [سورة الأعلى / ١ ـ ٥]

(**سبِّح**) أى : نَزِّه قلبك من كل ما لا يليق به ، فإذا أنت قرأت كتاباً شيوعياً أو نصرانياً ، وعلق فى قلبك شئ منها ، فنَظِّفْ قلبك من هذه الشوائب ، وإذا كنت سمعت شيئاً فى الذَّات المحمدية لا يليق به ، فنَظِّفْ قلبك منه .

(**اسم**) بمعنى المسمَّى ، أى : ذات ربك .

فأسماء الله ـ تعالى ـ لا تضعها فى وضعٍ يستحيل وضعها **فيه** .

« الله » أو « الرحمن » ! هل تعلم له سَمِيّاً ؟!! أى : مسمَّى باسمه

قال تعالى : **﴿ ربّ السمٰوات والأرض وما بينهما فاعبُدهُ واصطبِر لعبادتِه هل تعْلَم له سَمِيّاً ﴾** . (١)

يقول الله -تعالى ـ : يا محمد ﷺ ، « الله أو الرحمن » من أسماء الله ، فهل سمعت فى كلام العرب أو العجم عن إنسان ، أو وثن ، أو حيوان تَسَمَّى باسم الله أو الرحمن ؟!! .

وقد حدث أن أعرابياً مدح ذات مرة مُسَيْلَمة الكذَّاب ـ حينما سمع الآية القرآنية فاقتبس منها لكى يمدح مسيلمة - فقال :

« وأنت غَيْثُ الورى لازلت رحمانا »

---

(١) مريم / ٦٥ .

وكان مدحه شاذاً لا يليق بمخلوق ضعيف ، ومَدَحَهُ بأسماء لا تليق به ، وليس له حق فيها ، ولكن فَضَحَهُ اللَّهُ وكَذَّبَهُ .

قال تعالى : ﴿ **ومَن أظلمُ ممن افترى على الله كذباً أو قال أُوحِي إليَّ ولم يُوحَ إليه شيءٌ ومَنْ قال سَأُنزِلُ مِثْلَ ما أنزَلَ الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمراتِ الموت والملائكةُ بَاسِطُوا أيديهم أَخْرِجُوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهُونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحقِّ وكنتم عن آياتِه تستكبرون** ﴾ . (٢)

ويقول سبحانه : ﴿ **قُلِ ادعُوا الله أو ادعُوا الرحمنَ أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تَجْهَرْ بصلاتِكَ ولا تُخَافِت بها وابْتَغِ بين ذلك سَبِيلا** ﴾ . (٣)

﴿ **قل ادعُواْ الله أو ادعُواْ الرحمن** ﴾ : أى : نادوا الله فله الأسماء الحسنى : يا ألله ! ياغفور .. يا شكور ..

ومن مخلوقات الله سبحانه « اليَمَام » باللغة المصرية ، وفي اللغة العربية اسمها « العكْرمة » ، ولها تسبيح عجيب فى الفجر تدعو به اسم ربها ، فهى تقول فى بُطْءٍ : قَيُّوم .. قَيُّوم .. قَيُّوم . وتقوله أيضاً فى سرعة : قيوم .. قيوم .. قيوم .. قيوم .

السمكة تدعو وتذكر ! والنسر يدعو ويذكر ! والأسد يذكر ! والذئب يذكر ! والضبع والجمل !! وكل مخلوقات الله تذكر !

فالمعْزَة تقول لله يا شكور يا رحمن ، والبقرة تذكر الله ، ويفهمها الله !!

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أنَّ الله يُسبِّحُ له مَن فى السمٰوات والأرض والطيرُ صَافَّات كلّ قد عَلِمَ صلاتَهُ وتسبيحه والله عَلِيم بما يفعلون** ﴾ . (٤)

---

(٤) النور / ٤١ .

« الهِنْد » لها لغة ، ونيجيريا لها لغة ، وفرنسا لها لغة ، والعرب لهم لغة ، والصين لها لغات ، وكل المخلوقات تنادى ربها .. قال تعالى :

﴿ تُسبِّح له السمٰوات السبع والأرض ومَن فِيهنَّ وإن من شئٍ إلا يُسبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ . (٥)

وقد أَلَّف رجل كتاباً اسمه « الآجرومية » من بلاد المغرب ※ ، وقف ذات يوم عند ميزاب الرحمة بالكعبة الشريفة ، وقال : « دند دند بيد دندد يندد يند يند » !

فانكسر ميزاب الرحمة ، وكان من الذهب الخالص ، وأخذه الرجل . وحين طُلب منه تفسير ذلك ، قال : إننى دعوت الله فقلت : يا مَنْ تَرَى ولا تُرى ، أنت ترى النملة فى البرد عريانة وترحمها ، فارحم عبيدك الفقراء .

قال تعالى : **﴿ الذين يحملون العرش ومَن حوله يُسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شئٍ رحمةً وعِلْماً فاغفر للذين تابوا واتَّبَعُوا سبيلَك وَقِهِمْ عذاب الجحيم ﴾** . (٦)

صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ لو علمها الإنسان يذوب **﴿ وإنْ مِن شئٍ إلا يُسبِّح بحمده ﴾** . (٧)

والصوفية ـ رحمهم الله ـ فتحوا أبواباً كثيرة .. « لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله » .

---

(٥) الإسراء / ٤٤ .

※ هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن آجروم الصنهاجى المولود سنه ٦٧٢ والمتوفى سنة ٧٢٣ بفاس حكى أنه ألف هذا الكتاب تجاه البيت الشريف .

(٦) غافر / ٧ .

(٧) الإسراء / ٤٤ .

والإنسان إذا بدأ الطريق وداوم على اسمٍ يذكرُ به فى المبدأ يسمع قلبه ويرتقى فيسمع الأعمدة ، والجمادات ، والحيوانات تذكر بالاسم الذى يذكر .

وحينما يرتقى يسمع الموجودات تذكر ، كلٌّ باسمها الذى هُدِيَتْ إليه ، هذه تقول : « سبحان الله » ! ، وهذه تقول : « الله أكبر » .. قال تعالى :

﴿ اصْبِرْ على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيْد إنه أوَّاب . إنَّا سخرنا الجبال معه يُسبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإشراق . والطيرَ محشورةً كلٌّ له أوَّاب . ﴾ . (٨)

وقد كنتُ ذات يوم فى أرض أبى الخلوية ، فى مكان بعيد ، وذهب أخى لكى يحضر الغداء ، وغاب عنى مُدَّةً طويلة ، فحدثت عندى حالة خوف من أن يخرج علىَّ ذئب أو ضبع ، وحدثتنى نفسى بذلك ، فازددت خوفاً . ولكن بدأت أذكر الله : « لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله »

فتغير حالى من الخوف إلى سماع الأشجار والمكان يذكر بما أذكر به « لا إله إلا الله » . وبعد قليل قمتُ ، وجريت داخل الشجر مؤتنساً به فى حالة سرور عظيم . ثم حضر أخى واعتذر عن تأخره في الحضور إلىَّ ، لأنه قد أخذته سِنَةٌ من النوم فقلت له : ليتك ما حضرت الآن !!!

﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ . (٩)

الخلوة لها نتائج عجيبة وغريبة ، وفى بداية الطريق كانت معى مسبحة ألفية ، ومكثت في خلوتى عشرة أيام بها ، ولم يحدث شئ ، ولم يدخل القنوط إلى قلبى . وفى اليوم العاشر رأيت عجائب وغرائب ، ولمدة دقيقة واحدة .

فبعد ذلك عرفتُ ! .

---

(٨) ص / ١٧ ـ ١٩ .

(٩) يونس / ٥٨ .

وبعد ذلك وهبنى والدى للعلم ، وحضرت إلى هنا ، وأفضل شئ هو العلم ، والمجلس النبوى هو مجلس العلم ، والنملة تستغفر للعالِم ، والسَّمَك يستغفر للعالِم ، وأفضل شئٍ على وجه الأرض هو تدريس العلم ، واخترته لنفسى ، واختاره الله لى .

فإذا أصبحتَ وَلِيًّا فلنفسك ، إذا صَلَّيْتَ فلنفسك ، وإذا زكَّيْتَ فلنفسك ، وإن كنتَ فى خَلْوة فلنفسك ، والداخل إلى الخلوة مثله كمن أحضر خروفاً مشوياً ودخل حجرته ليأكله . وهكذا الخلوة ، وكلاهما لنفسك : الخلوة والذكر ، أما العلم فَلِخَلْقِ الله تعالى ، ومحبةٌ فى الله ، وخيرٌ لله .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : أىّ الناس أحبّ إلى الله ؟

فقال (ﷺ) : أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس . (١٠)

والكلام فى العلم يُطْعِم الأرواح ، كما أن الأكل طعامٌ للأجساد .

ويحكى أن أحد الصوفية دخل الخلوة لِيَذْكر ، فسمع الهاتف يقول له : ما لهذا خلقتك ! اخْرُجْ ، فَانْفَعِ الناس بعلمكَ .

وقد كان النبى ﷺ إذا جاء أهل بيته ، جلس معهم يُعلِّمهم القرآن ، ويُعلِّمهم العلم . فكان مجلسه (ﷺ) مجلس علْم ، وهذا أفضل المجالس .

وإذا حضر النبىُّ ﷺ يمرُّ على المسجد الحسينىّ ، ويمرُّ على الأزهر ، ويمرُّ على مجالس العلم ، وقد رآه بعض أهل الكشف .

﴿ **سَبِّح اسم ربك الأعلى** ﴾ يقال : إن فلاناً ـ عليّاً مثلاً ـ على سطح منزل ارتفاعه خمسون متراً ، وزَيْداً على سطح منزل ارتفاعه مائة متر ، فزَيْد أعلى من علىّ !

---

(١٠) رواه أبو القاسم الأصبهانى .

وهذا العمدة أغنى من ذاك ، لأنه يملك ما شية أكثر منه . وهكذا .

فكلمة « أَعْلَى » تفيد أن هناك مَن هو عالٍ ، ومَن هو أعلى منه : كما أن كلمة « أكرم » تفيد أن فلاناً كريم ، وهناك أكرم منه ، وهذا قياس عقلى .

وهو ينطبق على المخلوقات ، أما الله سبحانه ، فلا ينطبق عليه هذا ، فما يكون للمخلوقات لا يكون لله ، وهو خالق المخلوقات فلم يشاركه سبحانه وتعالى أحدٌ فى عُلُوِّه ، ولا فى كرمه ، ولا فى غناه .

ربنا كان ـ سبحانه ـ ولا شئ معه ، وهو الآن على ما عليه كان .

قال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شئٌ وهو السميع البصير** ﴾ . (١١)

ويقول النبى ﷺ : « **لو أنكم دلَّيتم بحبل إلى الأرض السُّفْلَى لهبط على اللَّه** » (١٢)

وليس المقصود أن الله تعالى عالٍ مكاناً ، ولكنه عالٍ منزلة ! فهو عُلُوّ غير الذى نعرفه .

قال تعالى : ﴿ **وما منَّا إلا لهُ مقامٌ معلوم** ﴾ (١٣)

وقال سبحانه : ﴿ **ولله المثلُ الأعلى** ﴾ (١٤) ، وقال أيضاً : ﴿ **وله المثلُ الأعلى فى**

---

(١١) الشورى / ١١ .

(١٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة مرفوعاً ، وقال : غريب .
وفسره بعضهم فقال : لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه ، وهذه المذكورات فى كل مكان ، لأنه تعالى بصفاته مع العباد ، وهو معكم أينما كنتم .
وقال الحافظ ابن حجر : معناه أن علم الله تعالى يشمل جميع الأقطار ، فالتقدير : لهبط على علم الله ، والله سبحانه منزه عن الحلول فى الأماكن ، فإنه تعالى كان قبل أن يحدث الأماكن .
ونقل أن الشيخ الأكبر ـ قدس سره ـ نقله فى أثناء أربعين حديثاً له ، وشرحه .
[ينظر / كشف الخفاء : ٢ / ٢٢٠ ، ٢٢١]

(١٣) الصافات / ١٦٤ .

(١٤) النحل / ٦٠ .

السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (١٥) ، وقال سبحانه : **﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون عُلُوّاً كبيراً ﴾** (١٦)

الله معك !! **﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾** (١٧) ، وعينُك لا تراه ، تعالى قَدْرُهُ عن أن تدركه الأبصار ! **﴿ لا تدركُهُ الأبصارُ وهو يدرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبيرُ ﴾** . (١٨)

فَعُلُوُّهُ ، وجلاله وعظمته منع العين التى يأكلها الدُّود من أن تراه سبحانه !

ولو نظرت العين الفانية إلى الله تعالى ، لخلدت إلى الأبد .

وكون أننا لا نراه بمعنى أنه عظيم وكبير ، وعَالٍ عُلُوّ منزلة ، وعلوّ عظمة وجلال وكبرياء ، أنت تجوع وهو لا يجوع ؛ لأنه عالٍ !! أنت تعطش وهو لا يعطش ؛ لأنه عالٍ . وهو سبحانه وتعالى منصور دائماً ، ومُنتصِر لا يغلبه أحد .

ورُسُله دائما منصورون لا يُغْلَبُون ؛ لأنهم نُوَّاب عنه ، لذا لا ينتصر عليهم أحد .

قال تعالى : **﴿ ولقد سبقت كلمتُنا لعبادِنا المرسلين . إنهم لهمُ المنصورون . وإن جندنا لهمُ الغالبون ﴾** . (١٩)

وقال سبحانه : **﴿ ثم نُنَجِّى رسُلَنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا نُنْجِ المؤمنين ﴾** (٢٠)

وقال سبحانه : **﴿ إنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾** (٢١)

---

(١٥) الروم / ٢٧ .
(١٦) الإسراء / ٤٣ .
(١٧) الحديد / ٤ .
(١٨) الأنعام / ١٠٣ .
(١٩) الصافات / ١٧١ ـ ١٧٣ .
(٢٠) يونس / ١٠٣ .
(٢١) غافر / ٥١ .

وملائكة السمٰوات السبع يسبحون بحمد ربهم ولا يرونه . لماذا ؟ لأنه أعلى ؛ ولأنه عال : ﴿ **وهو الذى فى السماء إلهٌ وفى الأرض إلهٌ وهو الحكيم العليم** ﴾ (٢٢)

﴿ **تُسبِّح له السمٰوات السبع والأرض ومَن فيهنَّ** ﴾ (٢٣)

﴿ **يُسبِّح لله ما فى السمٰوات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم** ﴾ (٢٤)

وكلمة « إله » معناها الخالق الذى تتحيَّر العقول فيه ، والله ـ سبحانه ـ مدح نفسه وذكَّرنَا بأنه لو كان إلهاً كاذباً لرأيناه .

وقد نَبَّه عبدة الأوثان وقال لهم : أنتم يا عبدة الأوثان ترون أوثانكم الكاذبة ، فلو كنتُ مثل هؤلاء الآلهة الكاذبة ، لأتيتم إلىَّ ورأيتمونى ووضعتم أيديكم علىَّ ، كما فعلتم مع اللات والعزى .

وصدق الله العظيم : ﴿ **ليس كمثله شئٌ وهو السميع البصير** ﴾ (٢٥)

وقال : السمٰوات السبع أُدَبِّرُهَا ، والأرضون السبع أُدبِّرها ، أُدَبر الأمر كله ، فكيف يكون لى مكان ؟!!

قال تعالى : ﴿ **وهو الله فى السمٰوات وفى الأرض** ﴾ (٢٦) ، وقال : ﴿ **قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله** ﴾ (٢٧) ، ﴿ **ولله ملك السمٰوات والأرض وما بينهما وإليه المصير** ﴾ (٢٨) ، ﴿ **إن ربكم الله الذى خلق السمٰوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى**

---

(٢٢) الزخرف / ٨٤ .
(٢٣) الأنعام / ١٠٣ .
(٢٤) الجمعة / ١ .
(٢٥) الشورى / ١١ .
(٢٦) الأنعام / ٣ .
(٢٧) الأنعام / ١٢ .
(٢٨) المائدة / ١٨ .

على العرش يُدبِّر الأمر ﴾ (٢٩) ، **﴿ يُدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾** (٣٠) ، **﴿ ولله غيب السمٰوات والأرض وإليه يُرجَعُ الأمرُ كله ﴾** (٣١)

﴿ لو كان فيهما آلهة إلا اللهُ لفسدتا فسبحان الله ربِّ العرشِ عما يصفون ﴾ (٣٢) ، **﴿ قل لو كان معه آلهة عما يقولون إذًا لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلاً . سبحانه وتعالى عما يقولون عُلُوّاً كبيراً ﴾** (٣٣)

سبحانك يارب !! أنت عال على كل أحد ، لماذا ؟ قال تعالى: **﴿الذى خلق فَسَوَّى﴾** (٣٤) أى : هو الذى خلق ما سمعته أُذُنَاك ، ورأته عيناك ، والذى خلق ما فى الدنيا وما فى الآخرة ألاَ يكون عظيماً ؟!!

وخَلْقُ اللَّه خَلْقٌ جميل ، والناس يأتون المسجد المبنىّ بناءً حسناً سليماً ، ويقولون : الله !! صنعتَ فأبدعتَ .

حتى البطيخة ، والبرتقالة .. خلق الله البرتقال فُصُوصاً أى : مُجزأً فى تناوله ، قال بعضهم : لأن الله يعلمكم الكرم .

وأتى لها بفُسْتَان أصفر : **﴿ صفراء فَاقِعٌ لونها تَسُرُّ الناظرين ﴾** (٣٥) ورائحتها طيِّبة ؛ لأجل أن يميل القلب إليها .

خَلَقَ فَسوَّى البرتقالة ، وماذا هى فى الأصل ؟ قطعة طين !! والآن ماذا هى ؟ برتقالة

---

(٢٩) يونس / ٣ .
(٣٠) السجدة / ٥ .
(٣١) هود / ١٢٣ .
(٣٢) الأنبياء / ٢٢ .
(٣٣) الإسراء / ٤٢ ، ٤٣ .
(٣٤) الأعلى / ٢ .
(٣٥) البقرة / ٦٩ .

جميلة بالفستان الأصفر ، حلوة المذاق ذات رائحة طيبة .. قال تعالى : ﴿ **وهو الذى أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كلِّ شئ فأخرجنا منه خَضِراً نخرِجُ منه حَبّاً مُتراكباً ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ وجنّات من أعنابٍ والزيتونَ والرُّمانَ مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمرِه إذا أثمَر وينْعِه إن فى ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون** ﴾ . (٣٦)

وإذا تعجب الإنسان من ذلك ، نقول له : وأنت ماذا كنتَ ؟ كنتَ طِيناً لازباً ، وأنشأك الله خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين !

قال تعالى : ﴿ **إنّا خلقناهم من طِينٍ لازِب** ﴾ (٣٧) ، وقال سبحانه : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرارٍ مكين . ثم خلقنا النطفَةَ علقةً فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خَلْقاً آخَر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ . (٣٨)

ولو اجتمعت الآلهة الكاذبة لَمَا خلقوا ذُبَابًا ، وإن يَسْلُبهم الذُباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، كما قال سبحانه : ﴿ **يا أيها الناس ضُرِب مَثَلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذُبَابًا ولو اجتمعوا له وإنْ يسلبهم الذُّباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعُف الطَّالِبُ والمَطْلُوب** ﴾ . (٣٩)

﴿ **ضَعُفَ الطالب** ﴾ : أى عابد الصنم ومعبوده ، أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطّيب ، قيل كانوا يطلون الأصنام بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكُوى فيأكله .

﴿ **الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى** ﴾ : « فَسَوَّى » أى : عَدَّلَ فى خِلْقَته : أُذُنَان ، عَيْنان ، رِجْلان ،

---

(٣٦) الأنعام / ٩٩ .

(٣٧) الصافات / ١١ .

(٣٨) المؤمنون / ١٢ ـ ١٤ .

(٣٩) الحج / ٧٣ .

يَدَان .. كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ألَمْ نجعل له عينيْن . ولسانًا وشَفَتَيْن** ﴾ (٤٠) ، وقال : ﴿ **الذى خلقك فسَوَّاك فعدلك . فى أىِّ صورة ما شَاءَركَّبَك** ﴾ . (٤١)

« **فَسَوَّاكَ** » أى : سَوَّى بين أجزائك ، الرِّجْل بمقياس الرِّجْل الأخرى ، وكذلك الأُذُن بمقياس الأُذُن الأخرى ، وكذلك العينان ، واليدان وهكذا . وغير ذلك يصبح سخرية ، ولو أتى بواحد منكم وركَّب له رِجْل حمار ، لكان الأمر عظيماً !

ولكنه ـ سبحانه ـ سَوَّى . ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البَرِّ والبحر ورزقناهم من الطيِّبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ . (٤٢) ﴿ **الله الذى جعل لكم الأرض قَرَارًا والسماء بناءً وصوَّركم فأحسن صُوَركم ورزقكم من الطيِّبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين** ﴾ . (٤٣)

* ﴿ **الذى خَلَق فَسَوَّى** ﴾ : الإبِل لها أرْجُل مخصوصة ، والنسر له رأس مخصوصة ، والأبقار لها أرجل مخصوصة .

أما ابن آدم ، فقد جعل له رجليْن اثنيْن ، وسوَّاه مع بَنِى جِنْسِه فلم يأت له بِذَيْل حمار ، أو رِجْل كَلْب .

نعَم اللَّه نَنْسَاها ، ولا نحمده عليها !! يارب لك الحمد ! فقد قلت : ﴿ **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾ (٤٤)

﴿ **ومَن شكر فإنما يشكر لنفسه ومَن كفر فإنَّ ربِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ** ﴾ (٤٥)

---

(٤٠) البلد / ٨ ، ٩ .
(٤١) الانفطار / ٧ ، ٨ .
(٤٢) الإسراء / ٧٠ .
(٤٣) غافر / ٦٤ .
(٤٤) البقرة / ١٥٢ .
(٤٥) النمل / ٤٠ .

فالحكمة والعدالة الربانية جعلت جميع بنى آدم سواء ، وجميع الوجوه واحدة ، ولكن كل وجه لا يشتبه مع الآخر ، فلكل إنسان صورة تميزه عن الآخر .

وقال العلماء : هذا السرُّ العظيم للإنسان : عَيْنَان ، ووَجْه ، وأَنْف .. ولكن يستحيل أن يشتبه أو يتطابق شكل إنسان مع آخر ؛ إذ لو حدث هذا لأدى إلى « لخبطة » كثيرة ، واشتباه بين هذا وذاك .

والمرأة تعرف زوجها ولو من بين ملايين البشر ، وكذلك أنت يا رجل تعرف زوجتك ولو بين ملايين النساء !!

* **﴿ الذى خلق فَسَوَّى ﴾**

« المعْزَة » تعرف وَلِيدَها من حاسَّة الشَّم ، شَمَّة بسيطة تعرف ابنها ، وما سواه تنطحه .. « القِطَّةُ » تَلِد ، ولا تُرْضِع أبناء القِطَّة الأخرى . بالتجربة يستحيل أن ترى حيوانا يرضع ولد غيره . سبحان الله . سبحان الله

قال تعالى : **﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ﴾** (٤٦)

﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ ولولا ذلك ماعاشر الرجل المرأة ، لأن المرأة صعبة ، وبعدما يُكْتَبُ الكِتَاب ، يُنزلُ اللهُ المودةَ والمحبة بينهما .

سبحانه وتعالى ! هو بديع فى خَلْقه ، ومعنى « البديع » أى : الذى خَلَق خلقًا لم يسبقه أحدٌ إليه ، ولا أحد يستطيع أن يخلق مثل خَلقه .

يقول النبى ﷺ : « خيرُكم خيركم لأهله » . (٤٧)

---

(٤٦) الروم / ٢١ .

(٤٧) رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها .

روى أن رجلا جاء إلى سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه – ليشكو إليه زوجته فوقف ببابه ينتظره ، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها ، فانصرف قائلاً : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالى ؟ فخرج عمر فرآه موليا فناداه : ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتى واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال له سيدنا عمر : يا أخى إنى احتملها لحقوق لها على : إنها طبّاخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى وليس ذلك بواجب عليها ، ويسكن بها قلبى عن الحرام . فأنا أحتملها لذلك . فقال الرجل : وكذلك زوجتى . قال سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة .

* تطبعتُ على الجلوس عند مسجد مولانا الحسين فى الفجر ؛ فلذا فإننى مسرور والحمد لله ! .

« تم بحمد الله تعالى »

الدرس التاسع والثمانون

فى شرح قول بعضهم :

اشْرَبْ شَرَاب أَهْلِ الصَّفَا تَرَى العَجَايب .. تَرْقَى مَرَاقِيَ والخَمْر طَايبْ

لا يتغير الرجل بأخذ الطريق ، وإنما الذى يتغير فيه صفته ، فالسمع لا يتغير ، والبصر لا يتغير ، والشَّم لا يتغير ، ولكن الذى يتغيَّر هو صفات هذه الأشياء . فصفات الحواس تتغير بأخذ الطريق ، فالسمع يُعْرِضُ عن اللهو ، ويحب سماع القرآن ، والبصر لم يتغير ولكن الذى تغير فيه صفته ، فيكره النظر إلى الحرام ويتمتع بالنظر إلى الحلال ، والنظر إلى الصالحين .

والشمّ هو الشمّ لم يتغير ، ولكن الذى تغيَّر فيه هى صفته ، فيكره الخبيث ، ويكره رائحة الخمر والمسكرات ، ويحب الروائح الطيِّبة وروائح الصالحين ، لأنها تُذكِّره بروائح الجنة .

وهكذا فالطريق تربية للأذواق بصفات جديدة لم تعهدها من قبل ، فالأذواق لم تتغير وإنما الذى تغير فيها هو صفاتها .

قال تعالى : **﴿ لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوَادُّون مَنْ حَادَّ الله ورسولَه ولو كانوا آبآءَهم أو أبنآءَهم أو إخوانَهم أو عشيرتَهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمانَ وأيَّدهم بِرُوحٍ منه ويدخُلُهم جنَّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حِزْب الله ألا إنَّ حِزْبَ الله هم المفلحون ﴾** . (١)

والفرق بين المسيحى والمسلم العقيدة ، فإن أزال المسيحىُّ الصَّليب من عقيدة قلبه وشهد

---

(١) المجادلة / ٢٢ .

واعتقد ما اعتقد به المسلمون ، صار مُسْلِمًا مثلهم ، ويصير بعد ذلك داخِلاً فى الآية الكريمة ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ (٢) .

وأخوة الإيمان أقرب وأمتن وأبقى من أخوة النسب ، أَبُوهُم الإسلام وهو ظاهرهم .. صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، والعمل بما جاء به الشرع أمراً ونهياً .

وأُمُّهُم الإيمان وهو باطنهم ، وهو خفيٌّ مسكنُهُ القلبُ ، ولا يُرَى بالعين ، ولا يُلْمَس باليد . قال تعالى : ﴿ **أولئك لهم رزقٌ معلوم . فواكهُ وهمْ مُكرَمون . فى جنَّات النعيم . على سُرُرٍ متقابلين . يُطَافُ عليهم بكأسٍ من معين . بيضآء لَذَّة للشاربين . لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزَفُون . وعندهم قاصِراتُ الطَّرْفِ عين . كأنهنَّ بيضٌ مَكْنُون** ﴾ . (٣)

﴿ **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومَن قتل مومناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مُسَلَّمة إلى أهله إلا أن يَصَّدَّقوا فإن كان من قومٍ عدوٍّ لكم وهو مؤمنٌ فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قومٍ بينكم وبينهم ميثاق فديةٌ مُسلَّمة إلى أهله وتحريرُ رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيماً** ﴾ . (٤)

وقال تعالى : ﴿ **ومَن يَقْتُلْ مؤمناً مُتعمِّدًا فجزآؤُهُ جهنَّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأَعَدَّ له عذاباً عظيماً** ﴾ . (٥)

كل شئٍ يفعله الإنسان ويندم عليه بعد فعله فاعلم أنه كان ناقص العقل حين فعله ، وكل شئ يفعله ويفرح به بعد فعله فاعلم أنه كان كامل العقل حين فعله ، كإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وفعل الخيرات .

---

(٢) الحجرات / ١٠ .
(٣) الصافات : ٤١ ـ ٤٩ .
(٤) النساء / ٩٢ .
(٥) النساء / ٩٣ .

قال تعالى : ﴿ قل بفضلِ اللهِ وبرحمتِه فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون ﴾ . (٦)

أما مَن زار مَقْهَى أو مَلْهَى ، فإنه يندم على ذلك ، وأما من زار وَلِيّاً من أولياء الله تعالى فلا يأتيه ندم أبداً .

الإمام الحسين رضى الله عنه الحسيب النسيب العالم التقىّ النقىّ الورع الشهيد ، حبيب النبى ﷺ ، ولو كانت عندك إمكانية روحانية لسلَّمت عليه باليد حين زيارته ، ولو كانت عندك قوة روحانية لتحدثت إليه عند زيارتك له ، وسلَّمت عليه بِرُوحِك .

وقد وهب الله تعالى الأرواح الطاهرة مواهب روحانية لرؤية الأسرار ، وأهل المواهب تتكلم أرواحهم مع بعضها .

وعندما ندخل مقصورة مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه نرى نوراً كالشمس ، ونسأل الإمام : ما هذا النور ؟ فيقول رضى الله عنه : هذا نُور جَدِّى المصطفى ﷺ .

وعندما تدخل عليه ، فإنه يراك بفضل الله ومشيئته ، ويغشاك هذا النور بفضل الله ومشيئته ، وبمقدار ما أفاض الله عليك من حال وبمقدار حالك ترى وتتذوق وتفهم ، فهو رضى الله عنه وبفضل الله ومشيئته يراك من مقامه عند ربه ، وأنت تراه من حالك وبمقدار حالك .

هِبَات ربانية !! فإن قلت : السلام عليكم ، رَدَّ عليك السلام بفضل الله ومشيئته ، وإن سألته أجابك بفضل الله ومشيئته ، وإن توسلت به إلى الله أُجِبْتَ بفضل الله ومشيئته ، قال تعالى :

﴿ ولا تحسبن الذين قُتِلُوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرْزَقُون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم

---

(٦) يونس / ٩٣ .

يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يُضِيعُ أجر المؤمنين ﴾ . (٧)

﴿ وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيماً ومُلكًا كبيراً ﴾ (٨)

وكل إنسان منَّا له رداءَان : رداء الجسد الظاهر (مَرْئِىّ) ونراه ، ورداء الرُّوح (خَفِىّ) لا نراه ، ولا يحسّ بالرداء الرُّوحىّ إلا صاحبه ، ومن المواهب التى منحها الله ـ تعالى ـ للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين رؤية الأرواح .

ورداء الرُّوح يزكو ويفوح عطره ، ويغلو ثمنه ، وترتفع قيمته بالأعمال الصالحات ، ويَتَّسخ ، وينتن ريحه ، وتسقط قيمته ، وتنخفض قيمته بأعمال السيئات ، وبالمخالفات والمعاصى ، وعدم متابعة الشرع .

ومولانا الإمام الحسين رضى الله عنه عندما تدخل عليه تدخل برداءيْن : رداء جسدى محسوس مرئى وأنت تعرفه ، ورداء روحى خفىّ غير محسوس ، وبفضل الله تعالى وبمشيئته يراه الإمام من مقامه عند ربه تعالى .

وبزيارته تتبرك به ، وتغشاك أنواره الربانية وأسراره ، فتخرج من عنده نشيطاً نظيفاً نقياً ، فتتوضأ وتُصلِّى وتعمل البِرَّ والخيرات ، وينصلح حالك ، وهذا من بركات أهل البيت الظاهرة .

قال تعالى : ﴿ إنما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكُمُ الرجسَ أهلَ البيت ويُطهِّركم تطهيراً ﴾ . (٩) ، ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وسَلِّمُوا تسليمًا ﴾ (١٠) إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل للأولياء الأحياء وظائف ، ومن وظائفهم علاج الأرواح ، وهبهم الله من فضله ورحمته ، وأعطاهم أدوية لعلاج الأرواح

---

(٧) آل عمران / ١٦٩ ـ ١٧١ .

(٨) الإنسان / ٢٠ .

(٩) الأحزاب / ٣٣ .

(١٠) الأحزاب / ٥٦ .

المريضة فى الدنيا ، وعرَّفهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمراض الأرواح وطُرُق علاجها .

قال تعالى : ﴿ **ألا إنّ أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ . (١١)

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتعبتَ نفسك فيما فيه خُسْرَانُ

أَقْبِلْ على الرُّوحِ فَاسْتَكْمِلْ فضائلها ... فأنت بِالرُّوحِ لا بالجسم إنسانُ

فالمخلوق الواحد مركب من شيئين : جسم بهيميّ ، وروح ملائكية نورانية ، وبالشرع تنتصر روح الإنسان ، وبالأهواء والشهوات ينتصر الجسد ، ومن انتصرت نفسه وجسده على رُوحه الملائكية فهو كالأنعام ، قال تعالى : ﴿ **أرأيت مَن اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً . أم تحسبُ أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً** ﴾ . (١٢)

﴿ **ولقد ذرأنا لجهنمَ كثيراً من الجنِّ والإنسِ لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ أولئك هم الغافلون** ﴾ . (١٣)

الزنا تكرهه النفس والروح ، والإنسان بصفة عامة يكرهه سواء فعْله أو الحديث عنه . وقد نهانا الله – سبحانه وتعالى ـ عنه فقال : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساءَ سبيلاً** ﴾ . (١٤)

---

(١١) يونس / ٦٢ ـ ٦٤ .

(١٢) الفرقان / ٤٣ ، ٤٤ .

(١٣) الأعراف / ١٧٩ .

(١٤) الإسراء / ٣٢ .

فقوله: ﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾ نَهْيٌ مطلقٌ عن الاقتراب منه بفعلٍ أو بحديث عنه ، فلم يقل سبحانه « ابتعدوا عن الزنا » ، ولكن قال ﴿ **ولا تقربوا الزنَا** ﴾ .

﴿ **إنه كان فاحشة** ﴾ أى عمل مشين مكروه ، ﴿ **وسآء سبيلاً** ﴾ أى ساء طريقاً ؛ لأنه طريق فيه المرض والذلّ والإهانة ، والضرب والتوبيخ ، ويتلاعن الزانى والزانية فى نفسيهما ، فهى تلعنه وهو يلعنها ، ومقت الله أكبر . فالزانية مريضة بالزهرى وغيره ، فتُعدى من يقربُها ، ولا تُبَالِى بالقضاء على مَنْ يقربها بالموت أو المرض ، أو إهلاك المال والنفس والأنساب .

أما الزواج ، فهو شَرْعٌ مُحبَّب إلى النفس والرُّوح ، والإنسان بصفة عامة يحبه ويرغب فى تنفيذه الفعلي ، وكذا الحديث عنه ، قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون** ﴾ . (١٥)

فالزوجة تخاف على زوجها من المرض ، ومن مشقات الحياة ، فهو عائلها ، وأب أولادها ، وشَرْعٌ سَنَّهُ الله لها ، ويرضى عنه الخلق ويباركونه فيقولون لها : « مُبَارَك » ، ويقال مثل ذلك للزوج ، والزوج إنسان محترم ، وله ألقاب كثيرة ، ففى البداية يقال له « عريس » ، وبعد ذلك يرقى فيصبح « أبا على » ، و « أبا محمد » ، وبعد عشرين عاماً يرقى فيقال له «جَدِّى » و « سيدِى » أى : يصير « جَدّاً » .

قال تعالى : ﴿ **وأطيعوا اللهَ والرسولَ لعلكم ترحمون . وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنَّة عرضها السموات والأرض أُعدَّتْ للمتقين** ﴾ . (١٦)

﴿ **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئٍ قدير** ﴾ . (١٧)

---

(١٥) الروم / ٢١ .
(١٦) آل عمران / ١٣٢ ، ١٣٣ .
(١٧) المُلْك / ١ .

العُمْدة له احترام ، والغَنِيُّ له احترام ، والوزير له احترام ، .... وهكذا . عَرفتُم وقَدَّرْتُم مراتب الدنيا ، واحترمتم العُمَد ، والأغنياء ، والوزراء .

فهل عرفتم الله تعالى ، وقدَّرتموه حق قدره ؟!!!

الله الذى ليس كمثله شئ ، لا شيء أعظم منه ، ولا أكرم منه ، ولا ألطف منه ، ولا أعزّ منه ! ﴿ **تبارك** ﴾ أى : تزايد خيره ، ﴿ **بيده المُلْك** ﴾ المراد بالملك الملك الظاهر من كل شئ نراه بالعين من سموات ، وأراضين ، وشمس ، وقمر ، ونجوم ، ومجرات ، وجمادات ، وحيوانات ، وحشرات ، .... الخ .

والإنسان مَلَكه الله ـ سبحانه وتعالى ـ داخل مُلكه الظاهر ، والإنسان مُلْك آخر عجيب ، قال الإمام على كرم الله وجهه ورضى الله عنه :

وَتَحْسِبُ أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العَالَمُ الأكبر

والملكوت : أى باطن الخَلْق ، أى ما خفي عن المحسوسات ، ومثال ذلك باطن الإنسان وروحه .

فالمُلْك : ظاهر كجسد الإنسان تراه العين من باب الملك .

والملكوت : باطن خفى كرُوح الإنسان لا تُرَى بالعين من باب الملكوت .

فـ ﴿ **بيده الملك** ﴾ أى : إنه ملك الأشياء كلها الظاهرة التى ترونها بأعينكم ، وملك نظامها وأحكامها ، واستولى عليها ظاهراً ، وذلك بأن نظمها وأحسن خلقتها وميزها عن بعضها ، وسَنَّ لها أحكاماً وسُنَنًا تسير عليها فى الدنيا ، كالقرآن والسنة للإنسان العاقل ، وملَكَها ـ سبحانه وتعالى ـ بيده من مبدأ خَلْقها إلى منتهاها ، قال سبحانه : ﴿ **مَالِك يوم الدِّين** ﴾ (١٨)

---

(١٨) الفاتحة / ٤ .

أى : إنه وضع يده على كل شئ يوم الدين .

وهناك فارق فى المعنى بين الآيتين : ﴿ **الذى بيده الملك** ﴾ ، و ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ فالفرق بين « المُلْك » ، و « المَالك » : أن « المُلْك » : يراد به الحكم والأمر والنهى والسلطان ، وهو خَلْقٌ ونظام وتشريع .. و « المَالك » أى المستولى (المهيمن) ، وهو المتصرف فى المُلْك .

فالله سبحانه وتعالى له الملك أى الحُكْم « الخَلْق والنظام والتشريع » ، وهو المَلِك المهيمن المتصرف في الملك .

وهناك فرق بينه وبين مُلْك الدنيا للملوك المخلوقين ، وبين مُلاَّك الدنيا للأموال والأرض وخلافه : فَمُلْك ومُلاَّك الدنيا لا يُعَدُّون ولا يُحْصَوْن ، وأحوالهم مختلفة متقلبة ، وقد يُنْقَلب عليهم ويتغيرون ويتبدلون ، وخلافه .

أما مُلْك الله - سبحانه وتعالى - وملكيته فلا يخرج عنها مخلوق واحد ، وليس فيها خروج أو انقلاب من أحد من المخلوقات ، فسبحانه وتعالى هو مالك وملكيته ثابتة دائماً .

وبيده المُلك بمعنى الحكم ، ولا أحد يخرج عليه سبحانه وتعالى ، وجعل لمخلوقاته أحكاماً ظاهرة بالشرع ، وجعل لمخلوقاته أحكاماً خفية لا يدركها المخلوقات .

﴿ **تبارك الذى بيده المُلْك وهو على كل شئٍ قدير** ﴾

تزايد خَيْرُ الله سبحانه الذى بيده الحكم الظاهر لمخلوقاته ، والحكم الباطن لهم وهو على كل شئ قدير .

※ سيدنا داود - عليه السلام - كان صوته جميلاً يخرج إلى الجبل وينادى الله سبحانه وتعالى : « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

فأعجب الله - سبحانه وتعالى - بصوته ، فقال تعالى لملائكته : أيها الملائكة : اسمعوا اسمعوا عبدى داود ، فإنى أحب أن أسمع صوته وتسبيحه لى ، فإذا سمعتموه فَرجِّعُوا معه

تسبيحه ورَدِّدُوا معه ، وأنت أيضاً يا جبال ، وأنتَ يا طير . قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود منَّا فضلاً يا جبال أَوِّبِى معه والطير ﴾ (١٩)

وكان البوصيرى رضى الله عنه يترنَّم بقصيدته على شاطئ البحر :

يارب صلِّ على المختار من مُضَرٍ ... والأنبيا وجميع الرسل ماذُكِرُوا

وصلِّ ربِّى على الهادى وشيعته ... وصحبه مَن لِطَىِّ الدِّين قد نَشَرُوا

وجاهدوا معه في الله واجتهدوا ... وهَاجَرُوا وله آوَوْا وقد نَصَرُوا

وبَيَّنُوا الفرْضَ والمَسْنُون واعتصبوا ... لله واعتصموا بالله فانتصروا

فرأى النبى ﷺ آتياً إليه يمشى على الماء ، وهذا أفضل من ترجيع الجبال والطيور !!!

كان والدى ـ رحمة الله عليه ـ يُلقَّب بالأسد ، لم تَفُتْهُ تكبيرة الإحرام ، ولم تَفُتْهُ ذات يوم صلاة الفجر ، وصلاة العصر خمسة وتسعين عاماً (٩٥) ، ولم يتأخر عن المسجد فى أى وقت ، وأعطاه الله تعالى نشاطاً عجيباً ، وكان في الصقيع الشديد يخرج لصلاة الفجر ، وكنت أختبئ منه فأراه سائراً إلى المسجد ، وكان للريح صوت عندما يصطدم بعباءته .

وكنت أسمعه وهو يحكى لوالدتى أنه ما رأى امرأة قط إلا زوجته ، وما فعل حراماً قطّ .

وكان – رحمه الله ـ شريفاً ذا نسب ، ولم يأكل إلا من عرقه ، وكان مَالِكاً لأرضٍ .

وحجَّ إحدى عشرة مرة (١١) بالإبل ، وحَجَّجَ والدته وكان عمرها مائة سنة ، كما حَجَّجَ والدتى وأنفق علىَّ ، وعلَّمنى حقيقة أنه شريف ، وأن جَدَّهُ النبى ﷺ ، ولم أسمع منه فى يوم ما أنه قال « إننى جعفرىّ » أو « شريف » .

---

(١٩) سبأ / ١٠ .

ورأيته ذات مرة في المنام أتى إليَّ وقال : « تتباهون بالأنساب ! أنت تريد أن تأكل بنسبك !! » .

وأحمد الله تعالى أن جعل نسبى لم ينكر ، فأنسابنا لا تُنكر ، وسواء عرف الناس أو لم يعرفوا فهذا لن يزيد ولن ينقص به شئ ! ، ولماذا يُنكر نسب النبى ﷺ ؟!! رددتُ على والدى بهذا .

ووالدى ـ رحمه الله ـ كان لا يذكر نَسَبَهُ من باب الحرص على نفسه ، وعلى الناس ، وليس من باب الإنكار .

وأحمد الله تعلى أنْ جَاءَ بِىَ الأَهْلُ إلى هنا ، ونَصَّبُونِى فى مكانى هذا ؛ لكى أكون مادحهم وذاكراً لهم .

ومصر بلد أهل البيت ، وقد صارت عامرة بهم ، فهُنَا فى مصر مقام سيدنا الحسين رضى الله عنه ، ومقام السيدة زينب رضى الله عنها ، ومقام السيدة نفيسة رضى الله عنها ، ومقام السيدة عائشة رضى الله عنها ، وغيرها من مقامات الأولياء والصالحين ، والحمد لله .

ولولا وجودكم يا أهل البيت ، لصارت خراباً ! .

فيأتى الناس من كل مكان بعيد وقريب لزيارتهم ، والتبرُّك بهم .

والبركة بمعنى الزيادة ، والزيادة قد تُرَى ، وقد لا تُرَى .

ويأتى أُناس من القلعة ليصلوا صلاة الفجر فى مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه ، وهذا سرٌّ من الأسرار .

صَلَّى اللـه علـى طـه خير الخلـق وأحـلاهـا

وعلـى الكـرَّار أبى الكُرَمَا والـزهـراءِ وأَبْنَـاهَـا

قال تعالى : ﴿ **اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وَجْه أبى يأتِ بصيراً** ﴾ (٢٠)

كيف يأتى بصيراً ؟ بالبركة !! وأين البركة ؟ في جسد سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ ، وقد انتقلت من جسده إلى القميص الذى كان يرتديه ، وكان القميص المبارك سبباً من الله بالبركة التى فيه ، أنه حين يُلقى على بَصَر سيدنا يعقوب يُبْصِرُ ويُرَدّ إليه بَصَره . قال تعالى ﴿ **ولَماَّ فصلتِ العيرُ قال أبوهم إنِّى لأَجدُ رِيحَ يوسف لولا أن تفندون . قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم . فلمَّا أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدَّ بصيراً قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لاتعلمون** ﴾ . (٢١)

وكذلك سيدنا الحسين رضى الله عنه تنتقل البركة منه إلى المكان الذى هو فيه من حديد وحجر وكساء ؛ فلذا نحن نُقبِّل ضريحه تبركاً به .

قال تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ . (٢٢)

قلوب العارفين لها عُيُون ... تـرى ما لا يراه الناظرونـا

وأجنحة تطير بغير رِيشٍ ... إلىَ مَلكُوتِ ربِّ العالمينـا

« وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأُمِّى ، وعلى آله وصحبه وسلم »

« انتهى بحمد الله »

---

(٢٠) يوسف / ٩٣ .

الدرس التسعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ والسماء والطارق . وما أدراكَ ما الطارقُ . النجمُ الثاقبُ . إنْ كل نفسٍ لَّما عليها حافظ . فلينظرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِق . خُلِق من ماء دافق . يخرج من بين الصُّلْبِ والترائبِ . إنه على رَجْعِه لقادرٌ . يوم تُبْلَى السرائرُ . فما له من قوةٍ ولا ناصر ﴾ . [الطارق : ١ ـ ١٠]

القرآن العظيم من آيات الله ـ تعالى ـ ، يدل على علْم الله ، فإذا سمعتَ القرآن أخبرك وأنبأك عن سعة علمه سبحانه بأشياء لا يخبر بها إلا القرآن .

يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن لنبيِّه ﷺ : **﴿ وإنك لتلقى القرآن مِن لَدُنْ حكيمٍ عليمٍ ﴾** . (١)

ويدل القرآن أيضاً على سعة خَلْق الله تعالى : **﴿ ألا يعلم مَن خَلَق وهو اللطيف الخبير ﴾** . (٢) والقرآن يتكلم عن كافة المخلوقات من سماء ، وأرض ، وجبال ، وبحار ، وأسماك وجنّ ، وإنْس ، فلا تجد كتابًا يدلُّ على مخلوقات الله إلا القرآن .

يتكلم عن الإنسان وغرائزه ، وطبائعه وسلوكه .. يقول الله سبحانه : **﴿ كلاَّ إنَّ الإنسانَ ليطغى . أنْ رآهُ استغنى ﴾** (٣)

يقول الله تعالى : أنا الذى خلقتُ الإنسان ، وأعرف صفاته وأحواله ، أُعْطيه المأكل والمَشْرب والمَلْبس والصحة ، وحين ذلك يطغى ويَعيثُ فى الأرض فسادًا ، ويتكاسل عن الطاعات ، ويفعل المعاصى .

---

(١) النمل / ٦ .
(٢) الملك / ١٤ .
(٣) العلق / ٦ ، ٧ .

قال سبحانه : ﴿ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبير ﴾ (٤)

أى : ولا يخبرك عن حال الإنسان فى كل أحواله أحدٌ غير الله ، وإذا أردت أن تعرف نفسك ، فاقرأ القرآن ! .

يقول الله تعالى : ﴿ وما أُبرئ نفسى إن النَّفْس لأمَّارة بالسُّوء إلا مارحم ربِّى إنَّ ربِّى غَفُورٌ رحيم ﴾ . (٥)

عندما تركب « الأتوبيس » فى الازدحام وتجد امرأة تقف بجوارك ، فانظر لنفسك بماذا تحدثك ؟ هذه المرأة يا سلام !!!

وعندما رجل يستأمنُك على ماله ، فانظر ماذا تقول لك نفسك ؟!

خُذْ منه شيئاً يا شيخ !!!

ولمَّا واحد يغضبك بكلمة ، نفسك تقول لك : قُمْ يا أخى اضْرِبْهُ !

﴿ إن الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً ﴾ (٦)

ماذا يكون الهَلَع ؟ الله - سبحانه - فَسَّرَهُ بعد ذلك فقال : ﴿ إذا مَسَّهُ الشرُّ جَزُوعاً . وإذا مَسَّهُ الخيرُ مَنُوعًا ﴾ . (٧)

« إذا مَسَّهُ الشّر » : التجارة خسرت ، فيجزع ويحزن ، ويصل به الحَال إلى الكفر . « وإذا مَسَّهُ الخير » : (الجاموسة) ولدت ! ياواد ولدت إيه ؟ خير ... ولبن ! يَمْنَع .. يا سلام ! كلام الله صادق .

﴿ إن الإنسان خُلِق هَلُوعًا . إذا مَسَّهُ الشرُّ جَزُوعًا . وإذا مَسَّهُ الخيرُ مَنُوعًا . إلا المُصَلِّين ﴾ .

---

(٤) فاطر / ١٤ .
(٥) يوسف / ٥٣ .
(٦) المعارج / ١٩ .
(٧) المعارج / ٢٠ ، ٢١ .

وقد استثنى الله سبحانه المُصلِّين : ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حقٌّ معلوم . للسائل والمحروم . والذين يُصدِّقون بيومِ الدِّين . والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير مَلُومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم رَاعُون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك فى جنَّات مكرمون** ﴾ . (٨)

إنسان يقف أمام الله تعالى خمس مرات كل يوم ، لا يمكن أن يتركه الله ! .

﴿ **وبَشِّرِ الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ . (٩)

نحن في ساحة الكرام نزلنا ، وبساحتهم يفيض علينا الكرم ، والمثل الفلاحى للمرأة العجُوز يقول :

« مَن جاور السعيد يسعد ، وتفيض عليه أنواره ، ومِن جاور الشقى يشقى ويتحرق بناره » .

فكيف تقف أمام الله تعالى كل يومٍ خمس صلوات ، ولا تفيض عليك صفة من صفاته ، وهو أصل الكرم ، ومن كرمه أن البهائم تأكل ، وتشرب ، وتتناسل .

ولكن هناك كرم عالٍ ، كرم ثمين ، أشياء غالية لا ينالها إلا الإنسان والملك وهى صفات الله .

---

(٨) المعارج / ٢٣ ـ ٣٥ .

(٩) البقرة / ١٥٥ ، ١٥٦ .

قال عليه الصلاة والسلام : « **والصلاة نور** » . (١٠) صدق رسول الله ﷺ خمس مرات تقف أمامه بخمس صلوات فى اليوم ، يتجلى عليك سبحانه وتعالى بصفة النور بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **ولمَّا جاء موسى لميقاتنا وكلَّمهُ ربُّهُ قال ربِّ أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف ترانى فلماً تجلَّى ربه للجبل جعله دَكّاً وخَرَّ موسى صَعِقاً فلماً أفاق قال سبحانك تُبْتُ إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾ . (١١)

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **تَجلَّى** ﴾ ، ولم يقل إنه ظهر .

صفات الله تعالى يأتى عندها العقل ويقف لا يستطيع أن يفسرها ، أو يتصورها ، أو يحيط بها ؛ لأنها صفات ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ ، ولا يعلم صفات ذاته إلا هو .

أما العقل فمقصور علمه على ما أراد الله أن يعلم به .

إذن للعقل حدود مُقدَّرة بإرادة الله تعالى . فماذا يقول لك عقلك ؟

أنت تظن في نفسك أنه إذا تجلى على الجبل جعله غباراً ، أو يؤوّل ظهوره بأى كيفية ، وقال الصوفية :

« تَدَكْدَكَتِ الجِبَالُ وَالرِّجَالُ رِجَالُ »

قال سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه :

جَمَالكُمْ نُصْبُ عَيْنِى إليه وَجَّهْتُ كُلِّى

وسِرّكم فى ضميرى والقلب طور التَّجَلِّى

آنستُ فى الحىِّ ناراً ليلاً فَبشَّرتُ أَهْلِى

---

(١٠) رواه مسلم فى صحيحه .

(١١) الأعراف / ١٤٣ .

قلت امكثوا فلعلّى أجد هُدَاى لعلّى

دَنَوْتُ منها فكانت نارَ المُكلّم قَبْلى

نوديت منها كفاحاً رُدُّوا ليالى وَصْلى

حتى إذا ما تدانى الـ ميقات فى جَمْع شَمْلى

صارت جبالى دَكّاً مِنْ هَيْبةِ المُتجلّى

لكن .. نحن نريد أن نعرف معنى التجلّى !

عندما تكون واقفاً فى الصلاة ، وتقول لك نفسك : إن الله قريب منك وسامعك وينظر إليك !! هذا نوع من أسباب التجلى الذى لا نعرفه ، وحين تصلى فتقول : إن الله يرانى ، ينظر إلىَّ ، هو الذى يحركنى ، إن الله هو الذى يجعلنى أتكلم، فهو لهذه الأسباب يتجلى عليك ..

والتجلى يحصل للعارفين : ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ﴾ (١٢)

جَمَالُك فى عَيْنِى وذِكْرك فى فَمِى إذا قلتُ يا أللهُ أنت تُجِيبُ

ونُورُك فِى سَمْعى وشَمِّى ونَاظِرِى وحُبُّكَ فِى قَلْبِى فَأَيْنَ تَغِيبُ

ولكن هذا ليس هو التجلّى وإنما هو من أسبابه ، ومن لم يكن عنده أسباب التجلى فليسكت !

أفنيتُ العالم كله وأوجدتك فى قلبى ، ونظرت للعالم فوجدتك ، فصار جمال صُنْعك في عينى .

---

(١٢) البقرة / ٢٣٥ .

قال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه : « حتى لا أرى فِيَّ ، وفى كل شئ ، وفى لا شئ إلا إياك » ؛ لأنه هو الظاهر والباطن سبحانه وتعالى !!

وأول مَنْ عرف أسباب التجلى سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه .. قال رضى الله عنه :

« ما رأيت أحداً إلا ورأيت الله قبله »

أما مقام النبوة ، فهو مقام كبير .. مقام النبى محمد ﷺ مقامٌ عال لا يشبهه مقام !! فالعارف إذا رآكَ لا يراك كما يراك العامىّ ؛ لأن العامىّ لا يرى إلا ظاهركَ : العينيْن ، الطول ، العرض ، اللبس ، الكلام ، صفاتك الذاتية .

ولكن العارف بالله تتلاشى أمامه صفاتك وذاتك ، فيرى آثار قدرة الله فيك ، يذكره بَصَرُك بَصَرَ الله (البصير) ، ويذكره سمعك سمع الله (السميع) ، ويذكره نطقك كلام الله : المتكلم بالقرآن ، وتذكره قدرتك قدرة الله (القادر) .

﴿ هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشآء ﴾ (١٣)

مَن الذى صَوَّرك ؟ الله !!

« ما رأيت أحداً إلا ورأيت الله قبله »

الإيمان الذى أعطاه الله لنا فى قلوبنا غال وثمين ، مَن الذى أودعه فى القلب ؟ الله ! فمثلا الطبيب يستطيع أن يُدْخِلَ أو يُخْرِجَ شيئاً في الجسم بالتشريح ، أما الله سبحانه وتعالى فقد أدخل الإيمان فى قلبك بدون تشريح ! ..

لا تَنْسَ أن الإيمان هو الأساس الذى يبنى عليه البيت ، الإيمان بأن الله واحد لا ثانى له «لا إله إلا الله » .

---

(١٣) آل عمران / ٦ .

لا يخلق أحد فى الوجـود ذرَّة إلا الله ، ومن أسمائه وصفـاته « الخَالق » ، وأن الله خلق الموت والحياة ، ومن أسمائه وصفاته « المحيى المميت الباعث » .

فإن قلتَ : إن الصحة تُطِيل العُمْر أو تحْيـى .. فأنت إذن لا تعرف الله .

وإن قلتَ : إن الحرب تسلبنى الحياة وتُمِيتُنِى .. فأنت إذن لا تعرف الله .

وإن قلت : إنَّ المرض يُمِيتُنِى ، فأنت لا تعرف الله !!

الله هو الذى خلق الحياة والموت ، سبحانه وتعالى عنده جُنُودٌ عَجِيبة .

« مليون » إنسان سيموتون في الحرب ، فيحضر مليون مَلك لِقَبْض أرواحهم ، و«مليون» نَفْس ستجئ إلى الدنيا ، هذا مسلم .. وهذا كافر .. وهذا يهودى .. وهذا نصرانى .

فيرسل الله « مليون » ملَك لِنَفْخ الرُّوح فيهم .

فالأرواح فى الملأ الأعلى مخلوقة ، إذا جاء أجلها تنزل إلى الجسد الذى قُدِّر لها .

الرُّوح فى الجسد على الأرض إذا جاء أجلهـا تخرج من الجسد والأرض إلى البرزخ إلى الملأ الأعلى .

والإيمان أن تؤمن وتصدق أن الله يأتى بالملائكة لتأخذ الأرواح :

﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (١٤)

إياك أن تعتقد أن المرض له قدرة على إماتتك ، بل هو سبب ، والمميت هو الله .

﴿ تبـارك الذى بيده الملك وهو على كل شىءٍ قدير . الذى خلق الموت والحـياة ليـبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾ (١٥)

---

(١٤) يونس / ٤٩ .

(١٥) الملك / ١ ، ٢ .

إذن ، فالموت مخلوق .

ذهب النقشبندى رضى الله عنه لرجل فلاح ، وقال له الفلاح : أنا خائف من الموت !!

فقال له : الله خلق الموت ، فخَفْ من الخالق ، ولا تَخَفْ من المخلوق .

فإذا كنت خائفاً أيها الإنسان ، فلا تَخَفْ إلا منه سبحانه وتعالى ، يقول للشئ (كُنْ فيكون) ، فبـ « كُنْ » خلق الحياة ، وبـ « كُنْ » خلق الموت .

وعندما ينزل الإنسان إلى القبر ، يقول له الله تعالى : تركوك ، ولكنى ما تركتك يا عبدى .

قيل : إن أعرابياً أوصى ابنه فقال له : يا بُنىّ ، لا تخَفْ من شئ فى الدنيا أبداً . فقال له : مِمَّ أخاف إذن يا أبَتِى ؟! فقال له : خَفْ من معصية الله ؛ لأنك إذا أطعتَ الله ، كان راضيًا عنك ، وإذا رضى عنك ، فلا تخف من شئ فى الدنيا مهما كان . وإنك إذا عصيته ، سلَّط عليك ما يخيفك .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **« إنما يُسلّط على ابن آدم ما يخافه ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يَخَف غير الله لم يتسلط عليه أحد ، وإنما وُكِلَ ابن آدم لمن رَجَا ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يَرْجُ إلا الله لم يَكِلْهُ الله إلى غيره »** . (١٦)

وطالما هو راضٍ عنك ، فالدنيا وما فيها لا تساوى شيئًا !!

فَلَيْتَكَ تَحْلُو والحيَاةُ مريرةٌ ... ولَيْتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضَابُ

إذا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ ... وكلُّ الَّذى فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

---

(١٦) رواه البيهقى فى السنن ، والسيوطى فى جمع الجوامع .

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

« فإنْ رَضِيَ المَحْبُوبُ صَحَّ لك الوَصْلُ »

أحبة قلبى والمحبة شافعى لديكم إذا شئتم بها اتَّصَلَ الحَبْلُ

أنتَ عندما تجلس بالليل وتصلى على النبى ﷺ « ألفًا أو ألفين » ، تحضر الملائكة ، ويحضر رجال الليل .

وعندما تقرأ القرآن يُرسل الله ملائكة لابسين تيجاناً ، ويقفون صفوفاً لسماع القرآن .

وإنْ قلتَ : « سبحان اللهُ وبحمده » ، يَصْعَد إلى السماء نور ، وتفوح الأعطار وتعمّ الأنوار والبركات ، وإذا تجلّى الرحمن فى مكان ، امتلأ بملائكته الكرام .

روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رَضى الله عنه ـ أن أسيْد بن حُضير بينما هو ليلة يقرأ فى مرْبَده إذ جالت فرسُهُ فقرأ ، ثم جالت أخرى ، فقرأ ، ثم جالت أيضاً . قال أُسيْدُ : فخشيتُ أن تطأ يحيىْ ، فقمت إليها فإذا مثل الظُلّة فوق رأسى فيها أمثال السُّرج عرجت فى الجوّ حتى ما أراها . قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله بينما أنا البارحة فى جوف الليل أقرأ فى مرْبَدى ، إذ جالَت فرسى ، فقال رسول الله ﷺ « اقرأ ابن حُضيْر » قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ : « اقرأ ابن حضير » قال : فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ : « اقرأ ابن حضير » قال : فانصرفت ، وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظُلّة فيها أمثال السُّرُج عرجت في الجوّ حتي ما أراها ، فقال رسول الله ﷺ : « تلك الملائكة تستمع لك ولو قرأت لأصبحتْ يراها الناس ما تستترُ منهم » (١٧)

قال بعضهم : لماذا لم يحجب الله تعالى الأنوار عن الفرس ؟ لكونه حيوانًا ؟

---

(١٧) هذا لفظ الإمام مسلم .

فقالت الصوفية : المعية في الرحمة لا يحجبها الله عن كائن ما كان معه . فالمعية التى كانت للفرس مع الصحابى جعلته يرى ما يراه الصحابى ، والله سبحانه وتعالى رحمته وأنواره لا يحجبها عن الفرس ؛ لأنه مخلوق من مخلوقاته ، وقد فاز بالمعية كما فاز كلب أهل الكهف بمعيتهم ، فلم يُحْرَم من بركتهم .

فاز كلبٌ بحُبه أهل كهْفٍ كيف أشقى بحُبِّ آل النبيِّ

فنجا الكلبُ من ضَيَاعٍ وحَتْفٍ كيف أشْقَى بِحُبِّ آل عَلِيِّ

فالمعية فى الإسلام عليها مدار كبير فى كل زمان .. الصحابة رضوان الله عليهم كانوا مع مَنْ ؟ كانوا مع رسول الله ﷺ .

والتابعون رضوان الله عليهم كانوا مع مَنْ ؟ كانوا مع الصحابة رضوان الله عليهم . وتابعوا التابعين رضوان عليهم كانوا مع مَنْ ؟ كانوا مع التابعين رضوان الله عليهم أجمعين . السيد عبد العالى كان مع مَنْ ؟ كان مع السيد البدوى رضى الله عنه ، .... وهكذا .

وقام أحد الحاضرين فى الدرس وصاح قائلاً : الفاتحة أن نكون في معيتك يا شيخنا الشيخ صالح !

فقال له الشيخ رضي الله عنه : المعية لا تكون معى ، وإنما نقرأ الفاتحة أن نكون فى معية أفضل عباد الله فى مصر .. مَن ؟ سيدنا ومولانا الإمام الشهيد الحسين بن على رضى الله عنه .

والله سبحانه وتعالي في كل مكان يتولَّى البلاغ ، فإن قلت : السلام عليك يا سيدنا الحسين وأنت عند ربك !! ربُّهُ يُبلِّغه السلام .

فالله هو الربّ الخالق المهيمن على كل الوجود الأحياء والأموات ، فالحىُّ لا يستطيع أن يفعل شيئاً ؛ لأنه فى قبضة الله ! ، والميت لا يستطيع أن يفعل شيئاً ؛ لأنه فى قبضة الله .

وَالِدِى كان فى الدنيا حيًّا .. بِمَنْ ؟ بالله .

وكان يتكلم معى .. بِمَنْ ؟ بالله .

وأُسَلِّمُ عليه .. بِمَنْ ؟ بالله !

ولما مات ، مَنْ أماته ... ؟ الله !

وبعد موته ، لمَاَ أُسلِّم عليه ... بِمَنْ ؟ بالله !

وإذا ردّ عَلَىَّ السلام يردُّ علىَّ بِمَنْ ؟ بالله !

والأمر كله لِمَنْ ؟ لله !

مَنْ يُنْطِقُنِى ويُسْمِعُنِى ويَشْفِينى ويُحيينى ويُميتنى ؟ الله !

ومَنْ يُنْطِقُ الميت بصورة هو يعلمها ولا نعلمها نحن ؟ الله !

﴿ يا أيها الذيـن آمنوا لا تتولَّوا قومًـا غضب الله عليـهم قد يَئِسُـوا من الآخرة كـما يَئِسَ الكفارُ من أصحاب القبور ﴾ . (١٨)

فالذى يفعل كل شئ فى هذا الكون هو الله ، والذى يأتى بكل شئ هو الله .

قال تعالى : **﴿ قال الذى عنده علْمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتَدَّ إليك طرفك فلما رآه مُسْتَقِرًا عنده قال هذا من فضل ربِّى ليبلونى ءَ أشكر أم أكفر ومَنْ شكر فإنما يشكر لنفسه ومَن كفر فإنَّ ربِّى غنىّ كريمٌ ﴾** . (١٩)

فـ « آصف بن برخيا » لم يأت بشئ ، ولكن بقدرة الله أتى به .

الطبيب يُدَاوِى ، ولكن هل يشفى أحداً ؟! لا ، لكنه سبب ، أما الشافى الحقيقى فهو الله .

---

(١٨) الممتحنة / ١٣ .

(١٩) النمل / ٤٠ .

والفلاح من ضَعْف عقله يقول : الفدان لم يُعْطِ محصولاً وفيراً ، أو أعطى « أردباً » فقط ! . مَن الذى جاء بالمحصول ؟ الله .

أنا زرتُ سيدنا الحسين رضى الله عنه ، فكان سبباً فى شفائى ! . فالمُدَاوِى والشافى هو الله .

والمنكرون يقولون : لا تزوروا الأولياء فزيارتهم شرك !!

لماذا يا أخى ونحن مُوحِّدُون ؟ هل لأننى ذهبت وزرت سيدنا الحسين رضى الله عنه وقلت له : السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ﷺ ، أكون قد أشركتُ ؟ لا .. لا .. لأننا موحِّدون يا أخى .

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيِّبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أُكُلها كُلّ حين بإذن ربِّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض مالها من قرار . ﴾ (٢٠)

ما هى الكعبة ؟

بيت الله تعالى ، مبنية من الحجارة ، نُصلِّى تجاهها وننظر إليها فى أى مكان نتجه إليها ، ونسجد تجاهها ، ونُقبِّلها ، لأنها منسوبة إلى الله بذكر الله .

وكذلك أولياء الله ، إذا زرتَهم تذكرتَ الله ، وإذا ذُكِروا تذكرتَ الله .

السيد البدوى أعطاه الله الولاية ، عندما تراه تتذكر الله ، وسيدنا الحسين رضى الله عنه شريف وعالم وشهيد وولىّ ، وابن بنت النبى ، جده النبى ﷺ ، وإذا رأيت كثرة إقبال الناس على زيارته ازددتَ إيمانًا بالله ، وحُبًا لرسول الله ﷺ ولأهل بيته الطاهرين رضى الله عنهم .

فلا يُزَار قَبْرٌ مثل مزار مولانا الحسين .. لا قبر محمد على ، ولا قبر إبراهيم باشا !!!

---

(٢٠) إبراهيم / ٢٥ ، ٢٦ .

حينئذٍ تشهد أن الله حق .

وإذا زرتهم تتكلم معهم بلغة الحيّ السميع البصير : السلام عليك يا ابن بنت النبى .

شُهَداء الله تعالى أحياء عند ربهم يرزقون ...

﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتِلُوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يُرزقون . فَرِحِينَ بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمةٍ من الله وفَضْلٍ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ . (٢١)

سيدنا الحسين رضي الله عنه يا سلام ـ يا سلام ! ما عرفنا قدره عند ربه بنسبة واحد فى المليون .. **﴿ وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيت نعيمًا ومُلكًا كبيراً ﴾** . (٢٢)

لو لم يكن جَدُّهُ صادقاً صلى الله عليه وآله وسلم ، ما ازدحمت على أبوابه الخلائق .. فهل وجدتَ قبراً تزدحم عليه الدنيا مثل قبر الرسول ﷺ ؟!

الخلق تزدحم على أحباب الله الذين يُذَكِّرُونَنَا بالله ! فإذا ذهبت إليهم فشَاهِد الله سبحانه .

وعندما تدخل على مقصورة الإمام الحسين رضى الله عنه فقل : السلام عليكم يا ابن بنت رسول الله ، وتكلَّمْ معه رضى الله عنه بلغة الحيِّ ؛ لأن الله أحياهم وهم شهداء عند ربهم .

وروائح الصالحين يعرفها الصالحون من بعيد ..

كان عمر بن الخطاب إذا اتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر ؟ قال نعم . قال من مراد ثم من قرن؟ قال نعم.

---

(٢١) آل عمران / ١٦٩ ـ ١٧١ .

(٢٢) الانسان / ٢٠ .

قال فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم ؟ قال نعم. قال لك والدة؟ قال نعم . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم لهُ والدة هو بها بَرٌّ لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . فاستغفر لى فاستغفر له فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون في غبراء الناس أحب إلى . قال فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويساً فقال استغفر لى قال أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لى ثم قال لقيت عمر؟ قال نعم . فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسير وكسوته بردة فكان كلما رآه انسان قال من أين لأويس هذه البردة . (٢٣)

الشهداء أحياء فى قبورهم يسمعون ويَرَوْن .. وكان النبى ﷺ يزور شهداء أُحُد كل عام مرة ، وشهداء بدر كل عام مرة .

ولو كانوا لا يسمعون ولا يرون ما ذهب إليهم رسول الله ﷺ .

فالمعية مع الصالحين عظيمة ، فاتقوا الله وكونوا مع الصالحين .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (٢٤)

(تم بحمد الله تعالى)

---

(٢٣) رواه مسلم .

(٢٤) التوبة / ١١٩ .

الدرس الحادى والتسعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ فأيْنَ تذهبُون . إنْ هُو إلا ذكرٌ للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشآءُون إلا أن يشاء اللهُ ربُّ العالمين ﴾ . [التكوير : ٢٦ ـ ٢٩]

إذا نظرت إلى قوانين البشر على الأرض تجدها متغيرة ، أما القرآن الكريم فشمس ظاهرة .. مَن الذى شرَّع ؟ العليم تشريعه علْم !

مَن الذي شَرَّع ؟ الحكَم تشريعه حُكْم ! ، مَن الذى شَرَّع ؟ القادر تشريعه قدرة ! ، مَن الذى شرع ؟ اللطيف تشريعه لُطْف .

﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خَلْقًا مِن بعد خَلْق في ظلماتٍ ثلاث ﴾ (١)

تشريع القدرة .. قال المفسرون : ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، وظلمة البطن . سبحانه وتعالى هو المُشرِّع .. أقيموا الصلاة .. آتوا الزكاة .. لا تقربوا الزنا .. ﴿ فأين تذهبون ﴾ : أين تذهبون من القرآن ؟

إذا كنتم مُعْوَجِّين عدَّل اعوجاجكم ، وإذا تركتموه ضللتم وبقيتم على اعوجاجكم إلى الممات ، والمشرع هو الذى خلق الأرواح والأشباح ..

روى عن علىى بن أبى طالب (رضى الله عنه وكرم الله وجهه) أن النبى ﷺ قال : **« عليكم بكتاب الله عزّ وجلّ . ، فإن فيه نبأ مَنْ كان قبلكم ، ونبأ ما يأتى بعدكم ، وحُكْم ما بينكم ، مَن خالفه من الجبابرة قصمه الله عزَّ وجلَّ ، ومَن ابتغى العلْم في غيره أضَلَّهُ الله عزَّ وجلَّ ، وهو حَبْل الله المتين ، ونورُه المبين ، وشفاؤه النافع ، عِصْمَةٌ لمن تمسَّك به ، ونجاةٌ لمن**

---

(١) الزمر / ٦ .

اتَّبعهُ ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ ، ولا يزِيغُ فيستقيم ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يُخْلِقُهُ كَثْرةُ الترديد » . (٢)

فلا يمكنك معرفة الله تعالى إلا بكلامه ، ولا يمكنك معرفته إلا بذكره ، ولا تعرفه إلا به : **﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ﴾** . (٣) فإذا ذكرته وقلت : يا لطيف .. يا لطيف .. يا لطيف ، أنزل عليك لطفه ، فتدرك معنى « اللطيف » .

وإن ذكرته سبحانه وتعالى وقلت : « يارحمن .. يارحيم » ، يقول لك : ذُقْ رحمتى ، هذه هى رحمتى فَذُقْها .

وإن ذكرته سبحانه وقلت : « يا عليم .. يا عليم » ، يقول لك : ذُق العلم ، هذا هو العلم الإلهى من عندى !! ... وهكذا .

وَتَيَّهْتُمُونِى فِى بَدِيعِ جَمَالِكُمْ ... وَلَمْ أَدْرِ فِى بَحْرِ الهَوَى أَيْنَ مَوْضِعِى

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّى أَحِنُّ إِلَيْهِمُ ... وَأَسْأَلُ شَوْقًا عَنْهُمُ وَهُمُ مَعِى

وَتَبْكِيهُمُ عَيْنِى وَهُمْ فِى سَوَادِهَا ... وَيَشْكُو النَّوَى قَلْبِى وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِى

ومتى تلوت القرآن فقد كُرِّمْتَ يا بطل ! ، ويجب عليك أن تَسْمَع ، وتَعِى ، وتفهم : **﴿ وإذا قُرِئَ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرْحَمُون ﴾** (٤)

« لعلكم تُرْحَمُون » : « لعلَ » للترجى والتوقع .. وهل الله سبحانه وتعالى يترجى حاجة أو يتوقع ؟! العربى يقول لامرأته : « اذْبَحِى هذا لعلَّ الحبيب قادم » . فهل ربنا يترجى ؟!!

الشيخ عبد الحميد المالكى قال : **« لعلكم ترحمون »** أى : حقيقة ترحمون ، فإذا استمعت القرآن حقيقةً تُرْحَم .

---

(٢) رواه الترمذى .

(٣) طه / ١٤ .

(٤) الأعراف / ٢٠٤ .

وإذا قرأت القرآن شعرت وأحسست بلَذَّة ، وفرحة معجلة فى قلبك .

﴿ فَعّالٌ لما يريد . هل أتاك حديثُ الجنود . فرعونَ وثمودَ . بلِ الذين كفروا فى تكذيبٍ . واللهُ من ورائهم محيطُ . بلْ هو قرآنٌ مجيدٌ . فى لَوْحٍ محفوظ ﴾ . (٥)

﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لَهْو ولعب وإن الدَّار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ . (٦)

تشعر وتذوق من معانى هذه الآيات ، الكافرين ينذرهم ، والمؤمنين يبشرهم فى الدنيا والآخرة ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان ﴾ .

﴿ إنَّ لك ألاَّ تَجُوعَ فيها ولا تَعْرَى . وأنَّك لا تظمؤُ فيها ولا تَضْحى ﴾ (٧)

هذا فى الجنة ! لا عُرى ، ولا جوع ، ولا انقطاع فيها .

﴿ مثل الجنة التى وُعِدَ المتقون تجرى من تحتها الأنهار أُكلها دائمٌ وظِلُّهَا تلك عقبى الذين اتقوا وعُقْبى الكافرين النار ﴾ . (٨)

وهنا فى الدنيا القرآن أُكُلُهُ دائم ، وظِلُّه دائم ، ما دُمْتَ تعمل به إلى الممات يُوَصِّلك إلى الجنة .

قال الشيخ عبد الحميد المالكى : اتفق العلماء على أن مَنْ خرق العادة في العبادة ، خُرِقَت له العادة .

فإذا تعب جسمك ، فلا تجعل قلبك يغفل ! فكن ذاكراً لله تعالى سواء كنتَ نائماً أو مستيقظاً ، ماشيًا أو واقفًا :

---

(٥) البروج / ١٦ ـ ٢٢ .

(٦) العنكبوت / ٦٤ .

(٧) طه / ١١٨ ، ١١٩ .

(٨) الرعد / ٣٥ .

﴿ تتجافى جنوبُهم عن المضاجعِ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾ . (٩)

﴿ رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيْع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ (١٠)

﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ويتفكرون فى خَلْق السمٰوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ . (١١)

« يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » وكلما ذكرته ذكرك ، وأزال عنك ضُرَّك وطيشَك ، ورعوناتِ نفسك ، وصرف عنك الحُسَّاد والأعداء .

﴿ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليًّا وكفى بالله نصيرًا ﴾ . (١٢)

قال سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله عنه :

يارَبّ غيرك ما يُرْتَجَاشِ ... وما جَاك سائل رَوَّحْ بلاشى

لا يُرْجَى أحدٌ سواك يا الله، ... وسائلك لا يرجع خائبًا !!

الحمد لربى قد هدانى ... كلمهْ خفيفهْ على لسانى

هى علامه على الإيمان ... ويوم القيامة ما وزنهاشى

« لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله »

شياطين الإنس والجن تعاكسك ، إذا أمسكت المسبحة يعاكسونك ؛ لأن فيها السرّ فهى تُذكِّرك وتضبط لك العدد .

---

(٩) السجدة / ١٦ .

(١٠) النور / ٣٧ .

(١١) آل عمران / ١٩١ .

(١٢) النساء / ٤٥ .

وإذا قال لك أُناس : أنت تعدّ على الله ؟!! ، فقل لهم : أنا أعدّ لله على نفسى ..

يقول النبى ﷺ : **« مَن قال : سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حُطَّتْ عنه خطاياه وإن كانت مثْل زَبَد البَحْر »** . (١٣) كيف يضبط هذا بغير مسبحة ؟ ويقول عليه الصلاة والسلام : **« مَنْ قال فى يومٍ مائتىْ مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئٍ قدير ، لم يسبقه أحدٌ كان قبله ، ولا يُدْركه أحدٌ كان بعده إلا مَنْ عمل بأفضل مِنْ عمله »** . (١٤)

الصعايدة عندهم شدة في الذكر ! ، وقال بعضهم : إن الأولياء من المغاربة كثيرون ، وعندما ذهبت إلى المغرب هناك بلدة اسمها « حمام » وتقع في جبل منحوت عال ، وأسفل الجبل مبنى مثل الأزهر « جامع حمام » ، فى هذا المسجد رُوحِى قالت لى : هنا يُوجَد ولىٌّ من أولياء الله .

فأخذت أبحث عنه حتى وجدتُ قلبى واقفًا عند رجل وجهه أبيض ، ولحيته سوداء جميلة ، ويلبسٌ برنوسًا مغربيًا ، مُتربعًا وواضعًا جبهته على الأرض ، وعندما وصلتُ عنده ، رفع رأسه ونظر إلىَّ وقال :

« أتعبونا ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ما فيهم مَنْ يحكم بالشرع »

فذهبتُ عنه ولم أستطع أن أسأله أو أُكلمه ، وسرتُ فى طريقى !!

فالأولياء يريدون العالَم أن يُحْكَمَ بالشرع ، إذن فنحن مغشوشون والله سبحانه وتعالى أعطانا حرية فى العمل ، ونرتدى ثياباً كيفما نريد ، ونساؤنا كذلك . فكل إنسان منَّا يعلم الشرع ، والحكومة لا شأن لها بذلك .

ولم نصل بعد إلى الزمن الذى يحكم فيه الحاكم بمعصية الشرع .. آه !!

---

(١٣) رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(١٤) رواه أحمد بلفظ « مائة » ، وكذا رواه الحاكم فى المستدرك وإسناده جيد .

فمازالت الأمة بخير ، والحمد لله .. المحبة موجودة ، والقرآن موجود ، والنفوس الطيبة موجودة .. ومازال الخير موجوداً .. والبركة موجودة .. والرحمة موجودة .. السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **كل يومٍ هو فى شأن** ﴾ (١٥)

يعنى مخلوقاته ، وليس هو سبحانه وتعالى . فكل يوم شَأْنُ خَلْقه يختلف . وكان الواعظ الشريف ابن الشحرى فى الأزهر يُدرِّس فى معنى قوله تعالى السابق ، فأتى الخضر - عليه السلام - وقال للعالِم : وما شأن ربك اليوم ؟

قال العالِم للخَضِر : أُجِيبُكَ غداً .

وذهب العَالِم يبحث فى كتبه فلم يعثر على الإجابة لهذا السؤال .. فأتاه النبىُّ ﷺ وقال له : السائل هو الخَضِر - عليه السلام - ، فإذا جاءك الخَضِر فقُلْ : « شئون يُبْدِيها ولا يَبْتَدِيها ، يرفع أقوامًا ويضع آخرين » .

« بمعنى : شئون يُبْدِيها فى اليوم الموعود ، « ولا يبتديها» أى لا يبتدأ فى تقديرها » فلما قال الجواب ، قال له : صلِّ على مَنْ عَلَّمَك .

فكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكىّ

وكم أمرٍ تُسَاءُ به صباحًا وتأتيك المسرة فى العشىّ

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قل أعوذ بربِّ الناس ﴾ (١٦)

كل سورة مبدوءة بالبسملة ؛ لأنها العنوان تبدأ بها كلام الله الرحمن الرحيم .

ويقول العلماء : إن كلمة « الناس » مأخوذة من قول العرب « نَاسَ » أى تحرك .

---

(١٥) الرحمن / ٢٩ .

(١٦) الناس / ١ .

والجن يدخلون مع الناس ؛ لأنهم يتحركون .

وقيل : « الناس » مأخوذة من الإنس ، وقيل : الناس من النسيان :

وما سُمِّيَ الإنسان إلا لِنَسْيِه ... وما القلب إلا أنه يَتَقَلَّبُ

فمعنى قوله ﴿ **ربّ الناس** ﴾ : ربّ الناس وربّ غيرهم .

خالق : معناه مَن خلق الناس ، رب : معناه : أوجدهم وتولَّى أمرهم فى الأنفاس والأرزاق ، فالربّ : أى المُربِّى المحيط القريب الثابت أوجد الناس .

وإذا أردتَ الأمان ، فنَادِ ربَّ الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس ..

﴿ **مَلِك** ﴾ معناه : الحاكم .. فلان محكوم عليه بالإعدام ، مَنْ أماته ؟! الله ..

﴿ **إله** ﴾ سبحانه وتعالى الناس جميعًا لا تتصوره بعقولها ، ولا تعرف له جهة ولا مكان ، ﴿ **ولا يُحِيطُون بشئٍ من علمه** ﴾ (١٧)

فأى مخلوق من مخلوقات الله يمكن أن تتصوره ، الملائكة يمكن أن تتصورها بأن لها أجنحة ، والشمس تتصورها ، وأى مخلوق كالعرش والكرسى يمكن أن تتصوره !!

ولكن عندما أقول : « إله » وقف العقل ؛ لأن المعبود لا تتصوره العقول ؛ إذْ لو تصورته صار مخلوقًا ولا يستحق العبادة .

والرسل مخلوقون ، والأولياء مخلوقون .

ولكن جَلَّ الله تعالى عن أن تراه العيون ، أو أن تخالطه الظنون ..

﴿ **ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوىٌ عزيز** ﴾ (١٨)

---

(١٧) البقرة / ٢٥٥ .

(١٨) الحج / ٧٤ .

فإذا كانت المخلوقات قد حيَّرت عقول الخَلْق ، فما بالك بالخالق سبحانه وتعالى ؟!!

وربنا سبحانه وتعالى قد اختص نَبِيَّهُ سيدنا محمداً ﷺ فأراه الجنة والنار والسموات السبع ، والملائكة ، وكشف له الحجاب فرأى الله تعالى بلا كَيْف ولا انحصار ، فما رأى أحدٌ رَبَّهُ غير النبى ﷺ ، وكان هذا يقظة فى مكان مخصوص .

ولو أظهر الله سبحانه وتعالى هذا التجلِّى على السموات والأرضين ، لصارت تراباً ، ولكنه ثَبَّت نبيَّه ﷺ : **﴿ وهو بالأُفُق الأعلى . ثم دنَا فتَدلَّى . فكان قاب قَوْسَيْن أو أدْنَى ﴾** . (١٩)

قال الإمام البوصيرى رضى الله عنه : فى وصف رسول الله ـ ﷺ ـ حين كان فى الغار

واختفى منهم على قرب مرآ ه .. ومن شدة الظهور الخفاء

فَشِدَّة ظهوره سبحانه وتعالى هى التى تجعلنا ننساه ونغفل عنه وهو أقرب إلينا من حبل الوريد

وقال الشاعر البارودى :

إنَّ الحَيَاةَ لَثَوْبٌ سَوْفَ نَخْلَعُهُ وَكُلُّ ثَوْبٍ إذا مَا رَثَّ يَنْخَلِعُ

أرواح تلبس أجساداً ، وتعيش بها فى الدنيا .. نتزوج .. نأكل .. نشرب .. الروح لا تأكل ولا تشرب ولا تتزوج ؛ وهى بطبعها مخلوقة طيِّبة ، ولكن أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يمتحنها ويختبرها .

﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمَنَّا وهم لا يفتنون . ولقد فتنَّا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين ﴾ (٢٠)

---

(١٩) النجم / ٧ ـ ٩ .

(٢٠) العنكبوت / ٢ ، ٣ .

يمتحن الله خَلْقه هل محبتهم له لذاته أو من أجل نِعَمه عليهم ؟ ، ويمتحنهم هل عبادته لذاته أم من أجل رزقه ونعيمه ؟! .

﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعَّمه فيقول ربى أكرمَنْ . وأمَّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربِّى أهَانَن . كلاَّ بل لا تكرمون اليتيم ﴾ . (٢١)

اقرأ من أول الآية ، وتدبر !! فالغِنَى امتحان ، والفقر امتحان ..

الرضا فريضة والطمع جنون ... لا تكثر لِهَمّك ما قُدِّر يكون

اطرق باب ربك ما قدر يكون ... القضا تحتَّم فالزم السكون

ما كان لغيرك لا يصل إليك ... والذى قُسِم لك حاصل لديك

اشتغل بربك والذي يكون ... من علم الحقيقة والشرع المصون

الرضا فريضة والطمع جنون

كنت أجلس عند مولانا الحسين رضي الله عنه مع رجل صالح ، وأتى رجل ليشكو زوجته وأولاده من ضربهم له ! ، فقال الرجل الصالح قبل أن يعرض الشاكى شكايته : الحمد لله سلَّط علينا زوجتنا وأولادنا ، ولم يُسلِّط علينا أولاد الحارة ، ولا نساء الحارة .

فسكت غضب الرجل .

وقال العربى أثناء إيذاء زوجته له وهو يسَايُسها : « أسنانك لمعت كالبرق » . سرعان ما إذ بدت فأرعدت فأمطرت ! .

وذلك صحيح ؛ لأنها زوجته .

---

(٢١) الفجر / ١٥ ـ ١٧ .

وأنت إذا أردتَ إنجاب ولد .. فمن سيأتى لك به ؟ السماء ؟ لا ، الأرض ؟ لا ، الأم والأب ؟ لا ، وإنما الزوجة هى الوعاء الذى يصلح له ، فقد تركت أباها وأُمَّها وأختها ، وعاشت معك مثل الخادمة .

ومما يحكى : أنه كان هناك ولىٌ تؤذيه زوجته فى المنزل ، وكان حطابًا ، وكان حين يخرج من بيته إلى الجبل أو الوادى ليحتطب سخر الله له أسدًا ليحمل عنه الحطب حتى يعود إلى منزله ، ويشاء القدر أن يأتى رجل عربي فى ضيافته ، وحين طرق الباب ذلك الضيف لم يكن صاحبه الولى موجودًا ، فعاملته زوجته بقسوة وشتمته . ومكث الرجل الضيف تحت الشجرة لانتظار ذلك الولى ، وبعد برهة من الزمن رآه قادمًا من بعيد فى صحبة أسد يحمل عنه الحطب ، وعندما دخل البيت سَبَّتْهُ زوجته هو وضيفه .

وتمرُّ الأيام ، وبعد سنتين رجع صاحبه لزيارته مرة أخرى ، فإذا بزوجته الأولى قد توفيت إلى رحمة الله ، وأبدله الله خيرًا منها ، فلما طرق الباب فتحت له زوجته الثانية الباب ، وأخرجت له حصيرة ، فجلس عليها في ظل شجرة ، وأخرجت له ماءً باردًا ، فانتظر صاحبه ، فلما عاد لم يجد معه الأسد ، وإنما كان يحمل الحطب بنفسه على كتفيْه ، وحينما تحدث صاحبه إليه ، قال له الولى : لا تكمُل يا صاحبى فى الدنيا ؛ لأنها دار البلاء .

(ويحكى) أيضاً : أن الشيخ عبد العزيز الدرينى أغضبته امرأته ، فترك بيته وصعد جَبَلاً ، ودخل مغارة فوجد فيها جماعة من العُبَّاد ، فجلس يعبد الله معهم ويأكل معهم ، فوجدهم حينما كانوا يطلبون الطعام فى الغذاء والعشاء والإفطار يرفعون أيديهم بالدعاء ، فينزل الطعام ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ، فلما انتهت الضيافة قالوا له : الضيافة ثلاثة أيام وقد انتهت ، فإن كنت منا ـأى من الأولياء ـ فعليك طعام الإفطار غدًا ، وإلا فاخرج .

فرفع يديه فى الصباح ودعا الله تعالى ، فجاء طعام الإفطار فأكلوا وشبعوا ، ولكن أخذتهم الغيرة منه فقالوا له : نستحلفك بالله ماذا قلتَ فى دعائك ؟ فقال : نعم ، بشرط أن

تخبرونى بقـولكم أنتم أولاً ، فقالوا : نحن علمنا من أهل الله الكبار أن نقـول : اللهم بِصَبْر عبدك عبد العزيز الدرينى على أمرأته أنزل علينا الطعام ! فقال : وأنا قلت : الله إنى أسألك بما سألوك به .

ثم ذهب إلى زوجته فقال لها : هَاتِ رحلاً وتعالى معى !

فقالت له : أوَقد أخبروك ؟!! لن أغضبك بعد اليوم .

فزوجـته كانت وَلِيَّة من أوليـاء الله تعالى ، وأراد الله سبـحانه وتعالى بسـببها أن يرفـعه درجة رضى الله عنهم أجمعين .

﴿ والسَّـابِقُـون الأوَّلُون من المـهاجـرين والأنصـار والذين اتَّبعـوهم بِإحسـان رضى الله عنهم ورضـوا عنه وأعـدَّ لهم جنَّات تجـرى تحتـها الأنهـار خالدين فـيـها أبدًا ذلك الفـوز العظيم ﴾ (٢٢)

« انتهـى »

---

(٢٢) التوبة / ١٠٠ .

الدرس الثانى والتسعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

[الحجرات / ١٠]

﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ : من الهند .. من الشام .. من مصر .. من السودان .. من أى قُطْرٍ كانوا ، وأىّ جنس فى مشارق الأرض ومغاربها .

يربطهم رباط واحد ، وهو الإيمان بالله عزّ وجلّ ، وتجمعهم كلمه التقوى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وهو رباط أقوى وأشد من رباط النسب ؛ لأن رباط النسب دنيوىّ ، ويفنى بفناء الدنيا .

أما رباط أخوة الإيمان ، فلا يفنى . **﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾** بالله فى الدنيا ، وهم إخوة بالله فى الآخرة . **﴿ فى جنّات النعيم . على سُرر متقابلين ﴾** (١)

﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ فى الدنيا والآخرة ، دينهم واحد ، ونَبِيُّهم واحد ﷺ ، وإلههم واحد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

قال تعالى : **﴿ وتعانوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾** (٢)

فالدنيا فيها الذين يساعدون على الخير ، وفيها الذين يساعدون على الشر !

فكم من أُنَاس فى الدنيا يساعدون على الشر ، ومَنْ يساعد على الشر يدخل النار ، ومأواه جهنم ومعه زبانيته ! .

---

(١) الصافات / ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) المائدة / ٢ .

وكم من أُناس فى الدنيا يساعدون على الخير ، وعلي إقامة شرع الله ، ﴿ **الآمِرُون بالمعروف والنَّاهُون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشِّر المؤمنين** ﴾ (٣)

ومنهم مَن يساعد على الزواج ، وعلى أداء فريضة الحج ، وآخرون يساعدون على إقامة الصلاة ، وطائفة تقوم بإطعام الفقراء والمساكين ، .... وهكذا .

﴿ **أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سَابِقُون** ﴾ (٤)

قال عليه الصلاة والسلام : « **الدالُّ على الخير كفاعله** » (٥)

أىّ ذنب تَسبَّب فيه ابن آدم يُكتب فى صحيفته هو أولاً ، وأىّ خير تسبَّب فيه ابن آدم يُكتب فى صحيفته هو أولاً ، وكم من أُناس فى الدنيا هَمُّهَا البحث عن الخير لِفِعْلِه ، وكم من أُناسٍ فى الدنيا هَمُّها البحث عن الشر لِفِعْلِه .

كلُّ ما فى الوجود يطلب صَيْدًا غير أن الشباك مختلفات

وشتَّان بين الإنسان المُتَربِّص لفعل الشر مثل الذئب ، والإنسان الحريص على فعل الخير كأداء الصلوات المكتوبات ، فيذهب مبكرًا إلى المسجد لأدائها فى أوقاتها ..

قال عليه الصلاة والسلام : « بَشِّر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » (٦)

وقال تعالى : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ (٧)

---

(٣) التوبة / ١١٢ .

(٤) المؤمنون / ٦١ .

(٥) رواه العسكرى والدار قطنى وغيرهما عن ابن عباس - وفى صحيح مسلم بلفظ « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » .

(٦) رواه أبو داود والترمذى بإسناد جيد .

(٧) الفاتحة / ٥ .

اسْتَعِنْ بالله فى كل شئ ، استعن بالله وأنت تعبد الله !!

استعن بالله يوفقك لصلاة الفجر ، وإن لم تستعن به فلا توفيق لك لصلاتها !

استعن بالله يوفقك للصوم ، وإن لم تستعن به فلن تستطيع الصوم ... وهكذا . نعبدك يا الله ونستعين بك !

وإياك يا ابن آدم أن تعتزّ بقوّتك أمام الله ؛ لأنه إله غَيُور ، وكيف تعتز أمامه بما أعطاك ؟!! ولا قوة لك على فعل طاعة الله إلا بتوفيق الله ، ولا تحوُّل لك عن معصية الله إلا بحفظه وعنايته .

﴿ مَن يَهْدِ الله فهو المُهْتَدِ ومَن يُضْلِل فلن تجد له وَلِيًا مُرْشِدًا ﴾ (٨)

﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ (٩)

وعندما تقف أمام ربك في صلاتك إياك أن يُنْسيك الشيطان فتقول : « إنِّى رجلٌ تقىٌّ » ، إياك أن تقول ذلك وأنت بين يدى ربك دائمًا ، ولكن تذكر فضله عليك وتوفيقه لك : **﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب ﴾** (١٠)

﴿ وإليه أُنيبُ ﴾ يعنى : إليه أرجع ، فكن دائمًا متوكلاً على الله ، لأنك راجع إليه : **﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾** (١١)

وقال سبحانه ﴿ فلا أُقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . إنه لقول رسولٍ كريم ﴾ (١٢)

سبحان الله ! الدُّنيا مليئة وزاخرة بالقوى التى أودعها الله فيها من زخرف وزينة وفتنة ،

---

(٨) الكهف / ١٧ .
(٩) الأعراف / ٤٣ .
(١٠) هود / ٨٨ .
(١١) النساء / ٨١ .
(١٢) الواقعة / ٣٨ ـ ٤٠ .

وأنت أيها الإنسان ضعيف ، تعيش وسط هذا العالم . وفى هذه الدنيا بقوة الله ، وبعناية الله ، وبأمانه وحفظه ، ودون ذلك فلا تستطيع أن تعيش بنفسك ولنفسك ..

تضيق بنا الدنيا إذا غبتمُ عنَّا وتزهق بالأشواق أرواحنا منَّا

بِعَادُكُمُ موتٌ وقُرْبكمُ حَيَا ولو غِبْتُمُ عَنّا ولو نَفَسًا مِتْنَا

فَبُعْدُكُم يا أحبَّتى فى الله مَوْتٌ لى وقُرْبكم منى ووَصْلكم لى فيه حَيَاةٌ لى .

يقول الإمام علىّ كرم الله وجهه :

« ميدانكم الأول أنفسكم ، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر ، وإن خذلتكم كنتم عن غيرها أعجز ، فجدّ دوا معها الكفاح أولاً »

وسُئِلَ - رضى الله عنه وكرم الله وجهه - كم ما بين الدنيا والآخرة ؟ قال : نَفَسٌ واحد إذا خرج كُنْتَ فى الآخرة ، فقيل له : وكم ما بين السماء والأرض ؟

قال : دعوة مستجابة .

أُهَيْل البيت أنتم أهل دين وأهل الله كنتم ظَاهِرِينَا

إله العرش فَضَّلكم علينا وأعلى قَدْركم فضلاً مُبِينَا

وما سُدْتم بمالٍ فى البرايا ولا زَهْوٍ كأمْرِ الحاكمينَا

ولكن بالنبىِّ حبيب ربِّى بِفَضْل الله صِرْتُمْ مُنْتَمِينَا

وهَاشِمُ جَدُّكُمْ ولكم سُيُوفٌ طِوَالٌ هَشَّمَتْ للظَّالمِينَا

---

(٩) السجدة / ١٦ .

(١٠) النور / ٣٧ .

(١١) آل عمران / ١٩١ .

(١٢) النساء / ٤٥ .

إذا ما قيلَ فى الهَيْجَا علىٌّ تَـرَى أَعْداءَهُ مُتَخاذلِينَا

إذا ما جَـرَّدَ الهِنْـدىَّ يوماً تَرَى أعْنَاقَهُمْ مُتَقطِّعِينَا

فَبَيْنَ الإنسان وموته نَفَسٌ واحد ، وهو ما بَيْن الـدنيا والآخرة ، فسبحان الله العظيم الذى يُحْيى الإنسان بِنَفَسٍ ، ويُمِيتُهُ بِنَفَس .. قال تعالى :

﴿ هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمْراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ (١٣)

﴿ ونفخ فى الصُّور فصعق مَن في السمٰوات ومَن في الأرض إلا مَن شاء الله ثم نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هم قِيَامٌ ينظرون ﴾ (١٤)

فإسرافيل عندما ينفخ النفخة الثانية **﴿ إذا هم قِيَامٌ ينظرون ﴾** بأسماعهم وأبصارهم يَرَوْنَ العجائب .. سبحان الله العظيم !!!

اللهم اجعلنا ممن توكَّل عليك فهديته ، واستنصرك فنصرته ، واستعان بك فأعنته .

يا ابن آدم رَاعِ الله يرعـاك ، وأرْضِه يرضاك ويُرْضِى عليك مـخلوقاته ، أمـا إن أغضبـته غَضِبَ عليك ، وأغضب عليك مخلوقاته ، وأبعدك عنه .

﴿ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئٍ وإليه تُرْجعون ﴾ (١٥)

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زَهُوقًا ﴾ (١٦)

(يحكى) : أن رجلاً كان فى الجبل فوجد أسدًا جريحًا يَئِنُّ من الألم ، ولا يستطيع أن يتحرك ، فما كان من الرجل إلا أن داوى الأسد ، وعالجه ، ثم أطعمه وسقاه إلى أن شُفِىَ ..

---

(١٣) غافر / ٦٨ .

(١٤) الزمر / ٦٨ .

(١٥) يسٓ / ٨٣ .

(١٦) الإسراء / ٨١ .

ومرت الأيام ، ويُحْبَس الأسد فى حظيرة المَلك بعد أن اصطاده بعض حُرَّاسه ، وفى تلك الأثناء يُحكَم على الرجل بالإعدام ، بأن يلقى فى جُبِّ الأَسَد وفى يوم تنفيذ الحكم وعلي مشهد من المَلك وحاشيته أُلْقِى الرجل إلى الأسد المتضوِّر جُوعًا ، الأسد شَمَّ الرجل فعرفه ، وأعرض عن أذاه وتركه . فاندهش المَلك وقال : عفونا عنك ، وجعلناك أيها الرجل حارسًا على هذا الأسد .

وهكذا المعروف لا يضيع مع الحيوان ، فكيف بالمعروف مع الله رب العالمين ؟!!

﴿ فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فَكُّ رقبة . أو إطعام فى يومٍ ذى مسغبة ، يتيماً ذا مقربة . أو مسكينًا ذا مَتْرَبة ﴾ . (١٧)

فالله ـ سبحانه ـ يقول : يا بنى الإنسان ، لا تستطيعون أن تقتحموا الأمر الشديد وتعبروا آمنين إلا بأعمالكم ، وهى إما فَكُّ رقبة أى : عتْق رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة أى : مجاعة ، يتيمًا ذا مقربة أو مسكينًا ذا مترية أى : مُتْرِبًا . **﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾** . (١٨)

وهو - سبحانه ـ خَالِق الخَلْق ، ويعرفهم معرفة جيدة : **﴿ ألا يعلم مَنْ خَلَقَ وهو اللطيف الخبير ﴾** . (١٩)

ويُوَجِّهُهم بقوله : **﴿ فأما اليتيم فلا تَقْهر . وأما السائل فلا تَنْهر ﴾** (٢٠)

فاليتيم مقهور بموت أبيه فلا تقهره ، والسائل بذل ماء وجهه للسؤال فلا تنهره ، والله بهم أعلم !

---

(١٧) البلد / ١١ ـ ١٦ .
(١٨) البلد / ١٧ .
(١٩) الملك / ١٤ .
(٢٠) الضحى / ٩ ، ١٠ .

قال سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه :

« معاملتك الخلق معاملة الحق معك »

فعَامِل الخلق بالعفو يُعاملك بالعفو ، فمن أكرم عبداً لأجل سيده فكأنما أكرم السيد ، فجزاء الإحسان الإحسان ، وجزاء الإساءة الإساءة قال تعالى : **﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تُحبُّون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾** . (٢١)

ومَن سامح الناس سامحه ربُّه ، ومن أكرمهم أكرمه ربه ، ومَن كان حليماً معهم كان الله تعالى حليماً معه .

قال عليه الصلاة والسلام : **« من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه »** (٢٢)

عَامِلِ الناس بالإحسان يُعاملك ربك بالإحسان !

كُنْ رَاحِمًا لجميع الخلق كُلِّهم وانظُرْ إليهم بعين اللُّطف وَ الشَّفَقَهْ

وارْحَمْ صغيرهمُ وَقِّرْ كبيرهمُ وراعِ فى كلِّ خَلْقٍ حقَّ مَنْ خَلَقَهْ

ومَنْ كان به سَفَهٌ أو جُنُون ، أو قُصُور فى عقله فلا يُلاَم ، أما العاقل الذى ينسى كلام ربه ولا يعمل به فلا يساوى قِطَّة أو عصفوراً ! .

﴿ ألَمْ تر أن الله يُسبِّح له مَنْ في السموات والأرض والطير صافات كلٌّ قد علم صلاته

---

(٢١) النور / ٢٢ .

(٢٢) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

وتسبيحه والله عليمٌ بما يفعلون ﴾ . (٢٣)

﴿ وإنْ من شيءٍ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (٢٤)

فالإنسان الذى لا يعبد ربه لا يساوى ذبابة أوْ عصفورا أو قطة .

تقول السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها فى المحبة الإلهية :

لم أجِدْ لى فى هواه عِوَضًا ... وهَوَاهُ فى البرايا مِحْنَتِى

حيثما كنتُ أشاهِدْ حُسْنَهُ ... فهو مِحْرَابِى إليه قِبْلَتِى

يا طبيب القلب يا كل المُنى ... جُدْ بِوَصْلٍ منك يَشْفِى مُهْجَتِى

قد هَجَرْتُ الخَلْقَ جَمْعًا أَرْتَجِى ... منك وَصْلاً فهو أَقْصَى مُنْيَتِى

فى مدح أهل البيت رضى الله عنهم :

ما سَامَنِى زَمَنِى سُوءًا وزُرْتُهُمُ ... إلاَّ وقد زال ما قد كان من غُمَمِ

ولا التمستُ غِنَى نفسى بحبِّهِمِ ... إلاَّ ونِلْتُ الغِنَى مِنْ سِرِّ نُورِهِمِ

لا مَشْهَدٌ فيه نُورٌ مِثْلُ مَشْهدِهم ... ولا مُلُوكٌ لهم عِزٌّ كَعِزِّهِمِ

لا تُنْكِرِ السِّرَّ فى آل الرسُولِ فَهُمْ ... من نُورِ جدِّهِمِ جاءُوا بِسِرِّهِمِ

قال الإمام الشافعى رضي الله عنه فى محبة أهل البيت رضى الله عنهم :

ياآلَ بيتِ رسولِ الله حبُّكُمُ ... فرْضٌ من الله فى القرآن أنزلَهُ

يكفيكُمُ من عظيم الفخر أنكُمُ ... من لم يصلِّ عليكم لاصلاة له

---

(٢٣) النور / ٤١ .

(٢٤) الإسراء / ٤٤٠ .

وقلت فى مدح مولانا الإمام الشافعى رضى الله عنه :

وزُرْ للشـافعىِّ وكُـنْ مُحِـبًا فزورتُهُ سـراجُ الصـادقينا

كبحرٍ فى علوم الشرع يحوى جَوَاهِر قد حَوَتْ دُرًّا ثَمِينًا

فكَمْ نشر العلـوم وكان بَـدْرًا مُضِيئـاً فى بـلاد المُسْلمينَا

قال تعالى :

﴿ يُوفُونَ بالنذر ويخافـون يوماً كان شَرُّهُ مسـتطيرًا . ويُطعمون الطعام على حُبِّهِ مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا . إنَّمـا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا . إنَّا نخاف من ربنا يومًا عـبُوسًـا قمطريرًا . فـوقاهمُ اللهُ شَـرَّ ذلك اليومِ ولَقَّـاهُمْ نَضْرَةً وسرُورًا . وجَـزَاهُم بما صبروا جَنَّةً وحريرًا ﴾ (٢٥)

كَفَاكُمْ يا بنى الزهراءِ فَضْلاً إذَا ما قِيلَ جَدُّكمُ الرَسُولُ

أَبُوكُـمْ فَارِسُ الهَيجَـا عَلِىٌّ وأُمُّكُـمُ المُطَـهَّرَةُ البَتُـولُ

فى القرن السـادس الهجـرى تَوَلَّى أبو بكر الشاسى ـ فـخر الإسلام ورئيس الـشافعـية ـ التدريس فـى المدرسة النظاميـة ببغـداد ، وكان قد تولَّـى التدريس من قبله فـى هذه المدرسة شيوخ أكـابر كأبى حامد الغزالى ، وأبى سـعيد المتولى صاحب « تتـمة الإبانة » ، وأبى نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، وأبى إسحاق الشيرازى رضى الله عنهم أجمعين .

فلما مـاتوا واحداً تلو الآخر ، تولاَّها هو ، وعندمـا جلس للتدريس فى أول يوم فى هذه المدرسة وضع « المنديل » على عينيه ، وبكى كثيراً ثم أنشد :

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ ومِـن البَـلاءِ تَفَـرُّدِى بِالسُّؤْدُدِ

---

(٢٥) الإنسان / ٧ ـ ١٢ .

وجعل يردد هذا البيت ، ويبكى إنصافًا منه ، واعترافًا لمن تقدمه بالفضل والرجحان عليه .

رضى الله عن الشافعى وتلاميذه ، والمقتدين به ، وسائر الصالحين فى أمة الإسلام . آمين

ومِنْ عَجَبٍ أنِّى أَحِنُّ إليهمُ ... وأسْأَلُ عنهمْ دَائمًا وَهُمُ مَعِى

وتبكيهُمُ عَيْنِى وهُمْ فى سَوَادِهَا ... وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِى وَهُمْ بَيْنَ أضْلُعِى

☆ ☆ ☆

يُحَدِّثُنِى بِكُمْ قلبى ... بأنَّ السَّعْدَ فى قُرْبِى

☆ ☆ ☆

شَرِبنَا طَرِبْنَا ثُمَّ هِمْنَا فَبَلِّغُوا ... سَلامِى عَلَى مَنْ كَانَ لِلوَصْلِ يمنحُ

النفس والشيطان يُزَيِّنَان المعصية للإنسان ، فيراها حلوة ، ولكن حلاوة الطاعة أشدّ وأجمل ، وبضدِّها تتميز الأشياء !!!

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « **جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله مَنْ أحَقُّ الناس بحُسْن صحابتى ؟ قال : أُمُّك . قال : ثم مَن ؟ قال : أُمُّك ، قال : ثم مَن ؟ قال : أُمُّك . قال : ثم مَنْ ؟ قال : أَبُوك** » . (٢٦)

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : « **يا رسول الله ، إن أبى يريد أن يجتاح مالى !! فقال ﷺ : أنت ومَالُك لأبيك** » . (٢٧)

فطاعة الوالدين من طاعة الله سبحانه .. روى البزار بسنده عن رسول الله ﷺ قال : « **رضا الربّ تبارك وتعالى في رضا الوالدين ، وسُخْط الله تبارك وتعالى فى سُخْط الوالدين** » .

---

(٢٦) رواه البخارى ومسلم .

(٢٧) أورده الذهبى فى الكبائر وأخرجه ابن ماجه والطبرانى فى الأوسط والصغير .

(٢٨) رواه أحمد والنسائى والبزار والحاكم .

أما مَن عَقَّ والديه فجزاؤه عند الله شديد ، ولا ينظر الله تعالى إليه ..

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« ثلاثة حرَّم الله – تبارك وتعالى ـ عليهم الجنة : مُدْمِنُ الخمر ، والعَاقُّ ، والدَّيُّوث الذى يُقِرُّ الخَبَث فى أهله » . (٢٨)

فالذى يعقُّ والديه مُغَاضِبٌ للَّه لا يغفر الله له ، ويقولون إن الفاسد الذى يتعلَّم الضَّرْب والسَّب فى أمه وأبيه ، ومَن كان مؤدبا مع ربه ، كان مؤدبًا مع والديه ..

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال :

« من الكبائر شَتْم الرجل والديْه ! قالوا : يارسول الله ، وهل يشتم الرجل والديْه ؟ قال : نعم . يَسُبُّ أَبَا الرجل فيسبُّ أَبَاهْ ، ويَسُبُّ أُمَّهُ فيسُبُّ أُمَّهُ » (٢٩)

وعن أبى بكر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« كلُّ الذُّنوبِ يؤخر الله منها ماشاء إلى يوم القيامة إلا عُقُوق الوالدين ، فإن الله يُعجِّلُهُ لصاحبه فى الحياة قبل الممات » (٣٠)

ولكن يجب على الإنسان أن يُؤَدِّب ولده ، ويعلمه أن يحترمه من صغره حتى لا يكبر ويكون عاقاً له ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه !! قيل : مَنْ يارسول الله ؟ قال : مَنْ أدرك والديْه عند الكِبَر أو أحدهما ثمَّ لمْ يدخل الجنة » (٣١)

---

(٢٩) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٣٠) رواه ابن حبان .

(٣١) رواه مسلم .

وأورد الذهبى فى « الكبائر » قوله ﷺ :

« لو عَلِمَ الله شيئا أدْنَى مِن الأُفٍّ لَنَهى عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ، وليعمل البارُّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » .

قال تعالى : **﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكِبَر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا . واخفض لهما جناح الذُّلِّ من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربَّيَانى صغيراً ﴾** (٣٢)

وما تأدَّب أحدٌ مع والديه مثل أدب أهل البيت مع والديهم ، ولا أَدَّبَ أحدٌ أولاده مثل تأديبهم أولادهم .

وقد قيل : لسيدنا علىّ بن الحسين رضى الله عنهما : إنك من أبرّ الناس ولا تأكل مع أُمِّك في صَحْفَة ! فقال : أخاف أن تسبق يَدِى يَدَهَا إلى ما تسبقُ عيناها إليه ، فأكون قد عققتها .

ومن دعائه رضى الله عنه لوالديْه رضى الله عنهما :

« اللهم اجعلنى أهابهما هيبة السلطان العسوف ، وأبرهما برّ الأُمّ الرءوف ، واجعل طاعتي لوالدىّ وبرِّى بهما أقَرّ لعينى من رقدة الوسنان ، وأثلج لصدرى من شربة الظمآن ، حتى أُوثر على هَوَاىَ هَوَاهُمَا ، وأقدم على رضاى رضاهما ، وأستكثر برهما وإن كثر ، اللهم وما تَعدَّيَا علىَّ فيه من قول ، أو أسرفا علىَّ فيه من فِعْل ، أو ضيَّعاه من حقٍّ ، أو قصَّرَا فيه من فعل ، أو قصَّرَا بى عنه من واجب ، فقد وهبته لهما ، وجُدتُ به عليهما ، ورغبت إليك فى وضع تَبَعيته عنهما ، فإنى لا أتّهمهُما على نفسى ، ولا أستبطئهما فى برِّى ، ولا أكره ما تَوَلَّيَاه في أَمرى » .

---

(٣٢) الإسراء / ٢٣ ، ٢٤ .

وقال يومًا ـ رضى الله عنه ـ لبعض بَنيه : يا بُنَىّ إن الله رضينى لك ولم يَرْضَك لى فأوصاك بى ، ولم يُوصِنى بك .

عليك بالبِرّ ، فإنه تحفة كبيرة .. وكل إنسان يجب عليه تربية أولاده على شرع الله تعالى، فيحسن تربيتهم ومعاملتهم ، وهو مسئول عن ذلك أمام ربه ، ويجب عليه أن يأمرهم بأداء الصلوات منذ الصغر ، وإنها ليسيرة على من يَسَّرَها الله له .

يقول النبى ﷺ : **« مَثَلُ الصلوات الخمس كمثل نَهْرٍ عَذْبٍ غَمْرٍ بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خَمْس مرات ، فما ترون ذلك يُبْقِى مِنْ دَرَنِهِ ؟!! قالوا : لا شئ . قال ﷺ : فإن الصلوات الخمس تُذْهِبُ الذُّنُوب كما يُذْهِبُ المَاءُ الدَّرَنَ »** . (٣٣)

وأولياء الله الصالحون يحرصون دائمًا على أداء الصلوات فى أوقاتها ، ويزيدون عليها النوافل حتى أحَبَّهم وارتضاهم أَحِبَّة له ..

قال عليه الصلاة والسلام : **« قال الله تعالى : ما تَقَرَّب إِلَىَّ عبدى بشئ أحبّ إلىّ من أداء ما افترضتُ عليه ، ولا يزال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه ، فإذا أحببته كنت سَمْعَهُ الذى يسمع به ، وبَصَرَهُ الذى يُبْصِرُ به ، ولسانه الذى يتكلَّم به ، ويَدَهُ التى يبطش بها ، ورِجْله التى يمشى بها »** . (٣٤)

وإذا تجلَّى الله عليهم فى الجنة نَسُوا النعيم عند رؤيتهم لربِّهم ، وقد ورد فى الحديث الصَّحيح : عن صهيب قال :

« قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ (٣٥) قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، نادى مُنَاد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله مَوْعِداً يريد أن ينجز كُمُوهُ ! قالوا : ما هذا المَوْعِدُ ؟ ألم يُثَقِّلْ موازيننا ويُبَيِّض وُجُوهَنَا ، ويدخلنا

---

(٣٣) رواه مسلم .

(٣٤) رواه البخارى ومسلم .

(٣٥) يونس / ٢٦ .

الجنة ويُجِرْنَا من النار ؟!! قال : فَيُرْفَعُ الحجاب وينظرون إلى وجه الله عزَّ وجلَّ ، فما أُعْطُوا شيئًا أحب إليهم من النظر إليه » . (٣٦)

اللهم ارزقنا حلاوة النظر إلى وجهك الكريم .

فلنُصَلِّ على النبى الحبيب ، وبفضل الله نصل إلى ما نريد .

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم !!

الصلاة على النبى ﷺ تُعلِّمك الأدب مع الخالق سبحانه وتعالى ، ففى حياته ﷺ قال : **« إنما بُعِثْتُ مُعَلِّمًا »** ٣٧٠) ، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى الصلاةُ عليه تُعلِّمك الأدب مع ربه ومولاه .

ولا تستطيعون أن تتأدبوا مع الله الأدب الكافى إلا إذا تخلقتم بِخُلُق النبى ﷺ وتأدّبتم بأدَبه ، قالت السيدة عائشة رضى الله عنها حين سُئِلَت عن أخلاقه ﷺ ، قالت : كان خُلُقُه القرآن .

وقالت رضى الله عنها : ما كان أحدٌ أحسن خُلُقًا من رسول الله ﷺ ، وما دعاه أحد من أصحابه ، ولا من أهل بيته إلا قال : لبيك .

فأكثروا من الصلاة عليه ﷺ ، ولا يغيب عن أذهانكم لحظة أن الله تعالى حاضر معكم أينما كنتم ، **﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾** (٣٨)

قال عليه الصلاة والسلام : **« آل محمدٍ كل تقىّ »** . (٣٩)

[تم بحمد الله تعالى]

---

(٣٦) رواه مسلم .

(٣٧) رواه ابن ماجة .

(٣٨) الحديد / ٤ .

(٣٩) رواه الديلمى فى مسند الفردوس .

الدرس الثالث والتسعون

فى شرح قول النبى ﷺ :

«حسين منِّى وأنا من حسين ، اللهم أحِبَّ من أحَبَّ حُسَيْنًا ، حسين سِبْط من الأسباط »

[رواه مالك فى الموطأ ، والترمذى ، وابن ماجة]

يتصل النبى ﷺ بالحسين كما تتصل الشمس بالأرض بواسطة الشعاع ، فهو ﷺ نور ، وأهل بيته نور منه ، ومعنى الحديث **« حسين منى وأنا من حسين »** يعنى : أنا الشمس وحسين نور برز منى كما يبرز شعاع الشمس من الشمس .

ومعنى **« أنا من حسين »** يعنى : أنا متصل بالحسين كما تتصل الشمس بشعاعها .

وهذا يشير إلى أنه ﷺ وأهل بيته كالشئ الواحد .

وقد رأيتُ هذا الحديث فى كتاب مخطوط للشيخ الزرقانى شارح موطأ الإمام مالك يقول فيه : حديث صحيح .

فهو ﷺ متصل بجميع أهل بيته ، وهم متصلون به ، والدال على الاتصال الحديث السابق ، وجملة أحاديث أخرى ، مثل قوله ﷺ : **« فاطمة بضعة منِّى مَنْ أغضبها فقد أغضبنى »** رواه البخارى ، وقوله ﷺ : **« مَن كنتُ مولاه فعَلِيٌّ مولاه »** رواه الترمذى وأحمد . والدالّ على تمام الاتصال قوله ﷺ : **« من أغضبها فقد أغضبنى »** ، فمن أغضبهم أغضب جَدَّهُم ﷺ ، ومن زارهم فى روضاتهم فكأنما زار جَدَّهُم ﷺ ، فهنيئًا للمُحِبِّين الزائرين ، ولهم رضى الله عنهم إدراك بعد مماتهم يزيد على إدراكهم فى حياتهم فى الدنيا .

وهم سادات مَن سبقت لهم من الله الحسنى :

﴿ إن الذين سبقت لهم منَّا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فيما

اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم تُوعَدون ﴾ (١)

قال رسول الله ﷺ :

« لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ، وتكون عترتى أحبَّ إليه من عترته ، وأهلى أحب إليه من أهله ، وذاتى أحبَّ إليه من ذاته » . (٢)

الله – سبحانه ـ خلق الخَلْق على فريقيْن : سعداء ، وأشقياء :

فالسعداء لهم صفتان : صفة السعادة فى الدنيا ، وصفة الإيمان .

وعلامة أهل السعادة أنهم مُيَسَّرُون لعمل أهل السعادة من صلاة ، وصوم ، وحج ، وبِرّ ، وصدقات ، ... وغير ذلك من أعمال الخير .

وعلامة أهل الشقاء أنهم مُيسَّرُون لعمل أهل الشقاء كالزنا ، وترك الصلاة ، والربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، ... وغير ذلك من أعمال الشر .

مَنْ جَاوَرَ السعداء يسعد يا فتى وتراهُ من أنوارهم يَتَورَّعُ

قال رسول الله ﷺ :

« ما من نفس منفوسة إلا كُتِب لها مكانها في الجنة أو فى النار !

فقال الصحابة رضى الله عنهم : أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا يا رسول الله ؟

فقال ﷺ : اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له » (٣)

اعملوا فالعمل يبين إن كنتم من أهل السعادة أو من أهل الشقاوة .

---

(١) الأنبياء / ١٠١ ـ ١٠٣ .

(٢) رواه الطبرانى وغيره .

(٣) رواه أحمد والترمذى .

قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

« وقد أبهمتَ علينا الأمر ؛ لكى نرجو ونخاف »

ويقول الحق سبحانه : **﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويُضِلُّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾** (٤)

فأهل السعادة يُثَبِّتهم الله بعمل الخيرات ، أما أهل الشقاوة فهم مُيسَّرُون لعمل الشر !

﴿ أَلَمْ تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تَؤُزُّهم أزًّا ﴾ (٥)

وذلك لعمل الشر ! فهو وظيفتهم التى يقومون بها ، وينشرونه بين الناس كما روى عن النبى ﷺ أنه قال : **« إن للشيطان كُحْلاً ولُعوقًا ونشوقًا ، أما لعوقه فالكذب ، وأما نَشُوقه فالغضب ، وأما كحله فالنوم »** (٦)

فالنَّشُوق الشيطانى حينما ينشقه الإنسان يجعله يغضب غضبًا شديدًا ، واللعوق الشيطانى حينما يضعه على لسان الإنسان يجعله يَسُبّ ويلعن ، والكحل الشيطانى يجعل القارئ للقرآن ينام فى قراءته ، والذاكر لله ينام في ذكره .

﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (٧)

وهناك فرق بين غضب الرحمن ، وغضب الشيطان :

« غضب الرحمن » أنك إذا رأيت أحدًا يشرب الخمر فى المسجد ، تغضب غضبًا شديدًا ، أما « غضب الشيطان » ، فإنه يُكرِّه إلى القلب الإنفاق فى سبيل الله ، والجهاد فى سبيله ، وإذا غضب الإنسان من هذه الأعمال سُمِّى غَضَبًا شيطانيًا .

---

(٤) إبراهيم / ٢٧ .

(٥) مريم / ٨٣ .

(٦) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس بإسناد ضعيف .

(٧) النحل / ٩٨ .

يقول الحق سبحانه :

﴿ إنَّ عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربِّك وكيلاً ﴾ (٨)

﴿ إن الذين سبقت لهم منَّا الحسنى أولئك عنها مُبْعَدُون ﴾ (٩)

أى : مُبْعَدُونَ عن النار التى يدعو الشيطان حزبه ليكونوا من أهلها . ومصائد الشيطان كثيرة منها : النظر لما حرَّم الله .. وترك الصلاة .. والنميمة ... وغيرها .

يقول الله تعالى :

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونُخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حَسِيبًا ﴾ (١٠)

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبُوا ، وزِنُوهَا قبل أن تُوزَنُوا » فـ « **الحلال بيِّن ، والحرام بيِّن** (١١) » كما قال النبى ﷺ .

إن جلوس المرأة بجوار الرجل فى الأتوبيس ، ودعوة الرجل لها للجلوس بجواره شفقة بها هذا عملٌ ليس لله ، فكلام المرأة يُحرِّك قلبك ، وملامسة المرأة تُحرِّك قلبك ، والنظر إليها يُحرِّك قلبك .

قال عليه الصلاة والسلام : « **النساء حبائل الشيطان** » (١٢)

ومعنى « حبائل » أى : مصائد يصيد بها أتباعه حتى يقعوا فى شبكته يقول الحق

---

(٨) الإسراء / ٦٥ .

(٩) الأنبياء / ١٠١ .

(١٠) الإسراء / ١٣ ، ١٤ .

(١١) رواه البخارى ومسلم .

(١٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد .

سبحانه : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تُخْفِي الصُّدور ﴾ (١٣)

فخيانة العين لا تكون من تلقاء نفسها ، ولكن خيانتها تكون من طلب القلب لها بهذا العمل ، والله سبحانه وتعالى لا تفوته فائتة ، ولا تخفى عليه خافية .

﴿ ما يلفظ من قولٍ إلاَّ لديه رَقِيبٌ عتيدٌ ﴾ (١٤)

ويقول سبحانه : ﴿ فلا تعجل عليهم إنما نَعُدُّ لهم عَدّاً ﴾ (١٥)

أى : نعدُّ أنفاسهم . كما قال ابن عباس رضى الله عنهما .

فلله على العبد فى النَّفَس نعمتان : نعمة خروج النَّفَس ، ونعمة دخوله ، ويخلق الله الخلق ويُقدِّر لهم معيشتهم بعدد الأنفاس .

فالإنسان على هذا في حالتين : دخول النَّفَس للحياة ، وهى نعمة من الله ـ تعالى ـ وخروج النَّفَس للموت ، وهو نعمة من الله ـ تعالى ـ وهو فى حالتَيْن أُخْريين أيضاً : نِعَم هابطة من الله على الإنسان ، وسيئات من الإنسان صاعدة إلى الله ؛ ولهذا يحتاج الإنسان إلى كلمتين فى كلتا الحالتين :

« الحمد لله رب العالمين » للنِّعَم الهابطة المرسلة من الله سبحانه وتعالى .

و« أستغفر الله العظيم » للسيئات الصاعدة من الإنسان إلى الله تعالي .

قال تعالي : ﴿ وإذْ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ (١٦)

---

(١٣) غافر / ١٩ .
(١٤) ق / ١٥٦ .
(١٥) مريم / ٨٤ .
(١٦) إبراهيم / ٧ .

﴿ فقلتُ استغفروا ربكم إنه كان غفَّارًا . يُرسل السماء عليكم مدرارًا . ويُمْدِدكم بأموالٍ وبَنين ويجعل لكم جنَّات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ (١٧)

﴿ فلله الحمد ربّ السموات وربّ الأرض ربّ العالمين ﴾ (١٨)

فاجعل دائماً نفسك مع الله رُوحًا ، وقَلْبًا ، ولسانًا ، تجد أن روحك من أجمل خَلق الله إيمانًا .

(يحكى) : أن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه حَدَّثته نفسه أن يأكل رُمَّانًا ، فخرج من الخلوة وذهب إلى حديقة في أحد الجبال وقال للحارس : بِعْ لى رمانة ! ، فأتى له برمانة فكسرها ، فإذا هى مُرَّة كالحنظل ، فقال له : ما هذا ؟

فقال الحارس : لى عشرون سنة فى هذه الحديقة ما تذوقت الرُّمان .

فسأله إبراهيم : لماذا ؟ فقال : أنا خادم ، وخدمتى لسيدى ألْهَتْنى عن أكل الرُّمان !

فعاد إبراهيم وقد اتعظ .

وفى الطريق : وجد رجلاً نائماً على الأرض قد ابتلى بكل الأمراض وهو لا يفتأ يقول : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به غيرى .

فقال إبراهيم : وهل هناك شئ من البلاء لم تُصَب به ؟

فقال له : نعم ، عافانى الله من حُبِّ الرُّمَّان ، فلو ابتلانى به كيف أمشى وأبحث عنه وأنا على هذه الحالة ؟

فرجع واستغفر ربه .

---

(١٧) نوح / ١٠ ـ ١٢ .
(١٨) الجاثية / ٣٦ .

قال رسول الله ﷺ : « **أعدى أعدائك نفسك التى بين جَنْبَيْك** » . (١٩)

وفى الجنة للمؤمنين ما تشتهيه أنفسهم .. يقول الله سبحانه :

﴿ إن الذين سبقت لهم منَّا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ﴾ (٢٠)

فالذين آمنوا عن النار مبعدون ، ولا يسمعون زفير النار ، ولا أصوات الذين كفروا من شدة تعذيبهم فيها ..

﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ (٢١)

« الحسنى » : هى الجنة ، (وزيادة) فيها قولان :

الأول : ويزيدهم الله من فضله ، أى ما يزيد على المثوبة تفضلا .

والثاني : هى رؤية الله سبحانه وتعالى . وقيل الزيادة : مغفرة من الله ورضوان . فأهل الجنة لهم فيها ما يشتهون ، فإذا اشتهى أحدهم رؤية صاحب له ، أو رؤية أحد الصالحين ، أو أحبابه ، آتاه الله ما يشتهى ، والإنسان يأنس بصحبة الصالحين الأخيار .

وحكمة الله سبحانه فى الجنة أن الإنسان لا يشتهى الحرام ، ولا يَوَدُّ رؤية أهل النار حتى ولو كانوا أقرباءَهُ .

قال القائل :

العِلْمُ حَرْبٌ لِلفَتَى المُتَعالي كالسَّيْل حَرْبٌ لِلمكَانِ العَالِى

---

(١٩) رواه البيهقى فى كتاب الزهد .

(٢٠) الأنبياء / ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢١) يونس / ٢٦ .

﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كُلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ (٢٢)

« الأعراف » سور مضروب بين الجنة والنار . قال ابن عباس رضي الله عنهما :

أهل الأعراف هم جماعة خرجوا للجهاد بدون إذن والديهم ، فإذا جاءوا الجنة ، منعهم عقوق الوالدين من دخولها ، وإذا جاءُوا النار ، منعهم جهادهم من دخولها .

وقيل : إنهم قوم استوت حسناتهم مع سيئاتهم .

ومعنى **« لم يدخلوها وهم يطمعون »**

أى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة مع أنهم يطمعون فى دخولها . قال الحسن : «لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم » وروى الحاكم عن حذيفة قال : « بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال : قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم »

رسول الله ﷺ هو الصادق المصدوق :

الصادق : أى الذى لا يكذب .

والمصدوق : إذا تكلم بكلمة صَدَّقها الله تعالى .

وقد علَّمنا ﷺ أننا إذا ذهبنا إلى مكان ما ، أو دخلنا أى مكان أن نقول : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق .

فعن خولة بنت حكيم ـ رضى الله عنها - قالت سمعت رسول الله- ﷺ ـ يقول **« من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك »** (٢٣)

---

(٢٢) الأعراف / ٤٦ .

(٢٣) رواه مسلم .

وكـان النبى ﷺ لا يُواَجه أحـداً بمكروه ، وإذا أراد نصيحـة أحد أخـرج كلامـه مخـرج العموم حتى لا يُحْرِج أحداً . ولذا قال فيمن هاجر من أجل امرأة :

﴿ فمَنْ كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ﴾ . (٢٤)

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

« تم بحمد الله تعالى »

(٢٤) رواه البخارى ومسلم عن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

الدرس الرابع والتسعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فَقُلْ حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم ﴾ .

[التوبة / ١٢٨ ، ١٢٩]

ما جَمَعَ الله تعالى لنبىّ اسمين من أسمائه إلا لسيدنا محمد ﷺ :

﴿ بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ ﴾

فتكرَّم الله سبحانه وتعالى عليه بصفتيْن وهما : صفة الرأفة ، وصفة الرحمة .

يقول ابن الفارض رضى الله عنه :

وقد جاءنى منِّى رسول عليه ما عَنِتُّ عزيزٌ بى حريصٌ لرأفةِ

« الفارض » والد سيدى عمر رضى الله عنه كان عالمًا من علماء الأزهر الشريف ، وكان يشرح الفرائض ؛ ولذا سُمِّى بهذا الاسم .

وقد انتابت سيدى عمر بن الفارض حالة عظيمة عندما دخل عليه ابنهُ ذات يوم ، فأنشد :

وعلى تفنن واصفيه بمدحه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وقد قيل إنه أمدح بيت مدح به رسول الله - صلى عليه وسلم -

رسول الله ﷺ عزيز بعزة من الله سبحانه ، **﴿ عزيز عليه ماعنتم ﴾** .

وقد كان ﷺ إذا مشى يسبقه النور والروائح والعطور ، وإذا مَرَّ ﷺ بطريق عرفوه، ووجهه يتلألأ كالقمر ليلة البدر ، وعليه حُلَّة حمراء، وتفوح منه رائحة عطرية، وهذا العالَم الذى

يُرَى فيه رسول الله ﷺ يسمى « العالم المدهش » .

قال الإمام البوصيرى رحمه الله :

فاق النبيِّين فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ولم يُدَانُوهُ فى علْمٍ ولا كَرَمِ

فإن فضل رسول الله ليس له حَدٌّ فيُعْرِبَ عنه نَاطِقٌ بِفَمِ

وقد أتى ﷺ بالقرآن الذى أوحاه الله إليه ، فليس فى القبائل إنسان بمثل صفاته ﷺ ، أو نبىٌّ جاء بمثل ما أتى به من قرآن !

كيف تَرْقَى رُقِيَّك الأنبياءُ يا سَمَاءً ما طاولتها سَمَاءُ

فأنت يا رسول الله السماء العليا التى ما بعدها سماء !

إنَّمَا مَثَّلُوا صفاتك للنا س كما مَثَّلَ النجومَ الماءُ

والعَالِمُ الذى يصفك يا رسول الله إنما يصفك مثل الذين يصفون النجوم وهى متمثلة على صفحات الماء .

لم تَزَلْ فى ضَمَائِرِ الكَوْنِ تختا رُ لك الأُمَّهَاتُ وَالآبَاءُ

فلا شريك لك يارسول الله فى كرمك ، وفى حلمك ، وفى شفقتك ورحمتك ، وفى شفاعتك !! عبد المطلب جَدُّ النبى ﷺ هو الذى حفر بئر زمزم وشاركته القبائل فى حفرها ، ونذر لله نَذْرًا إن وهبه الله عشرة أبناء ذبح الابن العاشر لله ، وأعطاه الله العشرة ، وكان ابنه العاشر « عبد الله » والد النبى ﷺ ! .

فلم ترض العرب بهذا وقال له : نخشى أن تذبح ولدك يا عبد المطلب ، فتكون سُنَّة يَتّبعها العرب ، وأشاروا عليه بأن يفديه بالإبل ، وظلَّ يضرب السهام على عبد الله والإبل ، فعل ذلك تسعة وتسعين مرة ، وفى المائة وقع السَّهم على النوق المائة ، فَأَوْلَم وليمة عظيمة لقريش ويطون مكة .

وقد كان لعبد الله بن عبد المطلب أخوات كثيرات ، وكان اسم كل واحدة منهن «عَاتِكة» ؟

ولذلك فإن أهل السودان يمدحون النبى ﷺ بقولهم :

« يا ابن العَوَاتِك » وهُنَّ عَمَّاتُه !

قال رسول الله ﷺ : **« خرجتُ من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شئ »** . (١)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لم يَلْتَقِ أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما »** (٢)

فهو ﷺ أشرف من الجن والإنس ، وأشرف من العوالم كلها علويّها وسُفْليّها .

فهو الذى تَمَّ معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئ النَّسَمِ

وقلتُ بفضل الله تعالى في مدح مولانا الإمام علىّ كرم الله وجهه !

إذا ما قيل فى الهيجا علىٌّ ترى أعداءَهُ مُتَخَاذِلِينَا

إذا ما جَرَّدَ الهِنْدِىَّ يومًا تَرَى أعناقهم مُتقطِّعِينَا

كل الأولياء الذين كان يدافع عنهم الشيخ عبد ربه رضى الله عنه يشكرونه ويُحيُّونه فى روضته ، وقد كان يقول : تركتُ للمنكرين جيشيْن : النظم ، والنثر .

قال تعالى : **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عن الذين آمنوا إِنَّ الله لا يُحِبُّ كلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾** (٣)

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ج١ ص ١١ وكنز العمال ج١١ ص ٤٠٢ رقم ٣١٨٧١ .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ج١ ص ١١ ، ص ١٢ وأخرجه السيوطى فى الدر المنثور .

(٣) الحج / ٣٨ .

روى البخارى فى صحيحه : عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال : « **عطش الناس يوم الحديبية ، والنبى ـ ﷺ ـ بين يديه ركوة ، فتوضأ ، فجهش الناس نحوه(٤) ، فقال : مالكم ؟! قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ، ولا نشرب إلا ما بين يديك .. فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا .. قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنَّا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة** » أ هـ

وإذا أردت أن تعرف أجناسًا من البَشَر ، فاذهب إلى الحج ترى العجب !!

ترى أنواعًا من البشر ، من الهند .. والسند .. والشام .. واليمن .. والمغرب ..

والنبى ﷺ يعرف جميع اللغات ، كما يعرف لغة الحيوانات ..

رسول الله ذو الكرم ... عَلِىٌّ القدر والهِمَمِ

على أبوابه ازْدَحَمتْ ... وُفود العُرْب والعَجَمِ

ونُور الله ينقذنا ... من الأهواء والظُّلَمِ

وحوش القفر تعرفه ... نَبِيًّا صادق الكَلِمِ

ويلقى الخير قاصده ... نبىٌّ طَاهِرُ الشِّيَمِ

جلال الله يكلؤه ... يُرَوِّعُ سَاكِنَ الأَجَمِ

قال تعالى : ﴿ **إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ . (٥)

فلا أحد يتحمل الوحى مثل النبي ﷺ !

ورد فى الصحيحيْن عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : « **أن رسول الله ﷺ كان يسير فى بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر عن شئ فلم يُجِبْهُ رسول الله**

---

(٤) أى : فزعوا إليه صلى الله عليه وسلم .

(٥) المزمل / ٥ .

ﷺ ، ثم سأله فلم يُجِبْهُ ، ثم سأله فلم يُجِبْهُ ، فقال عمر بن الخطاب : ثَكِلَتْ أُمُّ عمر ، نَزَرْت رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك لم يُجِبْكَ !! فقال عمر : فحركتُ بعيرى ثم تقدمت أمام الناس وخشيتُ أن ينزل فىَّ قرآن ، فما نشبت أن سمعتُ صارخًا يصرخ بى ، فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فِىَّ القرآن ! فجئْتُ رسولَ الله ﷺ فسَلَّمْتُ عليه ، فقال : لقد أُنْزِلَتْ علىَّ الليلة سورة لهى أحبّ إِلىَّ مما طلعت عليه الشمس .. ثم قرأ (إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ..) » أ هـ لفظ البخارى .

الموتى لهم إحساس غريب ، إذا حزن المرء على أمه وأبيه أتياه فى المنام يُوَاسِيَانِه ، وإذا خرجت رُوح ابن آدم رأى العوالم كلها فى ملابس مختلفة !

ومعنى الحساب : هو عرض الأعمال .. يقوم الموتى من المقابر حفاة عُرَاة كما قال ﷺ :

« يبعث الناس حُفَاة عُرَاة غرلاً ، قد ألجمهم العَرَق وبلغ شحوم الآذان . قالت سودة زوج النبى ﷺ راوية الحديث : قلت : يارسول الله ، واسوأتاه !! ينظر بعضنا إلى بعض ؟! فقال : شغل الناس عن ذلك بهم (لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه) (٦) » (٧)

وبعد ذلك يكون الحساب ، وتفرز الأمة المحمدية من بين سائر الأُمَم ..

وقد سُئِل النبى ﷺ عن طول يوم القيامة فقال ﷺ :

« والذى نفسى بيده إنه لَيُخفَّف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يُصَلِّيها فى الدنيا » . (٨)

ثم يأتى دور الشفاعة العظمى ، والتى أشار إليها المولى سبحانه وتعالى : **﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾** . (٩)

---

(٦) عبس / ٣٧ .

(٧) رواه الشيخان والطبرانى فى الأوسط من حديث أم سلمة ، وهى القائلة « واسوأتاه » .

(٨) رواه أبو يعلى ، والبيهقى فى الشعب من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٩) الإسراء / ٧٩ .

المقام المحمود هو مقام الشفاعة ، حيث يُلْهِم الله سبحانه الخلقَ أن يذهبوا للأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم ، فيتراجع الأنبياء جميعهم والمرسلون ، ويظهر فضل النبى محمد ﷺ عليهم ، إذ يقول لمن أتوه : **« أنا لها .. أنا لها »**

وهذا القول منه ﷺ يدل على الطمأنينة وحسن القضاء .

فيذهب النبى ﷺ إلى العرش ، ويخرُّ ساجداً لله تعالى ، ويفتح الله عليه بمحامد حتى يسمع النداء الإلهى :

« يا محمد ، ارْفَعْ رأسك ، سَلْ تُعْطَه ، واشْفَعْ تُشَفَّع » (١٠)

وشفيع الناس فى أوزارهم عظمت أوزارنا فاشْفَعْ لنا

صاحب السجده يقول أنالها أيها السَّاقى مِنَ الحَوْضِ اسْقِنَا

ثم تَرِدُ الأمة المحمدية على الحوض .. ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل فى الطعم ، وأبرد من الثلج ، مَنْ شرب منه شربة لا يظمأ أبداً .

روى ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما نزل قوله تعالى : **﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾** (١١)

قال رسول الله ﷺ : **« هو نَهْرٌ فى الجنة حافتاه من ذَهَب ، شرابه أشدّ بياضًا من اللَّبَن ، وأحْلَى من العسل ، وأطيب ريحًا من المِسْك ، يجرى على جنادل اللؤلؤ والمرجان »** (١٢)

وتكون هناك ملائكة تمنع بعض الأمة المحمدية من الورود على الحوض .. ويسأل النبىُّ ﷺ الملائكةَ عن ذلك فيجيبونه : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك إنهم رجعوا على أعقابهم . قيل : هم قوم من أهل نَجْد ارتدوا بعد موت النبى ﷺ ، ويعرفهم النبى ﷺ من آثار الوضوء التى تبدو عليهم .

---

(١٠) متفق عليه .

(١١) الكوثر / ١ .

(١٢) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، ورواه الدرامى .

ولكن .. كيف تقول الملائكة للنبى ﷺ : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » مع أنه ﷺ قد أخبر أن الأعمال تُعْرَضُ عليه ؟!!

والجواب عن هذا : أن الأعمال التى تعرض على النبى ﷺ هى أعمال المؤمنين ، أما من كفر من الأمة فعمله لا يعرض عليه .

قال ﷺ : **« مَن زار قبرى وجَبَتْ له شفاعتى »**

وفى رواية : **« مَنْ زارنى بالمدينة محتسبًا كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة »** (١٣)

والذى ينكر ينكر .. والذى لا ينكر لا ينكر !!

ماضَرَّ شمس الضحى فى الأفق طالعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذاَ بَصَرِ

« تم بحمد الله تعالى »

---

(١٣) رواهما البيهقى فى شعب الإيمان .

الدرس الخامس والتسعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

[غافر / ٦٤]

تضيق بنا الدنيا إذا غبتُم عنَّا وتزهق بالأشواق أرواحنا منَّا

بِعَادكُـمُ مَوْتٌ وقربكمُ حَيَا ولو غِبْتُـمُ عَنَّا ولو نَفَسًا مِتْنَا

﴿ جَعَلَ لكم الأرض قرارًا ﴾ : أى مستقرًا لكم فى حال حياتكم ، وبعد مماتكم . ، ﴿ والسماء بناءً ﴾ : مبنية فوقكم مثل القُبَّة ، ففيها منظر بديع للعين الناظرة إليها .

﴿ وصوَركم فأحسن صُوَركم ﴾ أى : جعل صُوَركم فى أحسن استعداد للقيام بعمل الأشياء الشرعية المستحبة مثل : الوضوء ، والنظافة ، والملبس ، والذبح ، والطَّهْى ، وخلافه .

فالأسد مَلِك الحيوانات على الرغم من قوته فإنه لا يستطيع أن يفعل تلك الأعمال التى يقوم بها الإنسان ، لأن الله هيأ الإنسان لها فى أحسن صورة .

﴿ ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله ربُّ العالمين ﴾ أى خلق لكم الأطعمة والمأكولات الشهية اللذيذة التى تلائم طبائعكم التى خلقها بقدرته ، ولا يستطيع أن يفعل هذا إلا هو سبحانه ، فهو ﴿ ربكم ﴾ القادر عليه لا غيره ، ﴿ فتبارك الله رب العالمين ﴾ أى : تزايد خيره ، فكل العوالم فى بركته وخيراته ؛ لأنه رب الخلق أجمعين ، والكل مخلوق له وتحت سيطرته سبحانه وتعالى !!

﴿ قالوا ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروجٍ من سبيل ﴾ (١)

الموت الأول : في بطن الأم ، أى فى الأرحام قبل نزول الرُّوح .

والموت الثانى : في الدنيا .. ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم مَنْ يُرَدُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علمٍ شيئًا ﴾ . (٢)

أما الحياة الأولى : فقد كانت بنزول الرُّوح فى الأرحام ، وهى الحياة الدنيا .

والحياة الثانية : عند البعث يوم القيامة .

وقدَّم الله سبحانه وتعالى فى الآية الموت ، لأنه السابق للحياة .

فخلق سبحانه وتعالى الموت والحياة فى أرحام الأمهات ، وخلق الموت فى الدنيا ، وخلق الحياة فى الآخرة بعد البعث .

﴿ أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاَّق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كلِّ شئٍ وإليه تُرْجَعُون ﴾ . (٣)

المؤمن يعرف ربه ، والمعرفة بالله ترقى به إلى أعلي الدرجات ، أما الكافر ، فلا يعرف خالقه ؛ ولذا فالحيوانات أفضل منه ؛ لأنها تعرف ربها سبحانه وتعالى .

﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئٍ قديرٌ ﴾ (٤)

« تبارك » أى : تزايد خيره .

---

(١) غافر / ١١ .
(٢) النحل / ٧٠ .
(٣) يس / ٨١ ـ ٨٣ .
(٤) الملك / ١ .

نحن يا ميكائيل ليس عندنا قمح فى دولة كذا ، اذهب إلى دولة كذا لتستورد لنا منها كمية كذا .. وهذا متوفر عندنا أرْسِلْ منه لدولة كذا ، ... وهكذا .

فالله - سبحانه وتعالى ـ خلق الخَلْق ، وقدَّر لهم أرزاقهم إلى يوم القيامة حتى النملة ! والذى يتوفَّاه الله - تعالى ـ ليس له رزق .

وقد جعل الله لذَّة العيش فى التنقُّل !

الرِّزْق فى اللَّوْح مكتوبٌ مع الأَجَلِ يأتى إليك ولو في جَبْهة الأَسَدِ

قال تعالى : ﴿ **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مُستقرَّها ومُسْتودعها كلٌّ فى كتابٍ مُبِينٍ** ﴾ . (٥)

قال العلماء : إذا ضَمِنْتَ السلامة ، فَأْمُرْ بالمعروف ، وَانْهَ عن المنكر ! وتَرْك الشهادة حرام ، وتقديم النفس إلى التهلكة حرام .. فإذا كانت الشهادة تؤدى إلى التهلكة ، فتقديم النفس لكى تحيا أفضل من أداء الشهادة .

روى عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه : أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرُّكم مَن ضَلَّ إذا اهتديتم** ﴾ (٦)

فقال ﷺ : « **يا أبا ثعلبة : مُرْ بالمعروف ، وانْهَ عن المنكر ، فإذا رأيتَ شُحًّا مُطَاعًا ، وهَوًى مُتَّبَعًا ، ودُنْيَا مُؤْثَرَة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ، ودَعْ عنك العوامّ .. إن من ورائكم فِتَنًا كقِطَع الليل المُظْلِم لِلمُتَمَسِّكُ فيها بمثل الذى أنتم عليه أجْرُ خمسين منكم !**

قيل : بل منهم يارسول الله !

---

(٥) هود / ٦ .

(٦) المائدة / ١٠٥ .

قال : لا ، بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعْوَانًا ولا يجدون عليه أعوانًا » . (٧)

فعند عدم الأَمْن من الضَّرَر عليك بخاصة نفسك ، واترك العوام .

وطالما نحن تمسكنا بالشرع نكون بخير ! وتَرْك أهل الهوى فى هذا الزمان واجب ، وطالما أن معنا حضرة النبى ﷺ فلا نخاف ..

« للدِّين قَوْمٌ .. وللجِمِّيز أقوام » !!!

فالحج له أقوام .. والصوم ، والصلاة ، والزكاة ، وفعل الخيرات لها أقوام ما شاء الله ! .

والخيرات والبركات من عند الله سبحانه وتعالى نازلة كثيرة ..

وأهل الهوى ليس لنا شأن بهم !

ذهب رجل إلى زيارة السيدة زينب رضى الله عنها يشتكى حاله مع أهل الهوى .. فأخذته إلى أماكن الحضرات ، ومجالس العِلْم .. وقالت له : أهذا قليل ؟!

أَلاَ يكفيك مجلسٌ من هذه المجالس لتجلس فيه ؟!!!

- فى حالة الموت الجسد تأكله الأرض ، والرُّوح تغيب عنَّا ، وهى إما مُكرَّمة وإما مُهَانَة !

واسم الله « المُميت » من أسمائه الدائمة الأزلية ، وإن لم يُمِتْ ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ (٨) ! كالمهندس إذا لم يهندس فى عمله ، فلا يزول عنه الاسم !! .

ومَنْ يدرى فمن الجائز أن يكون لله خَلْقٌ آخرون ، ودُنْيَا أخرى أليس هذا جائزًا أم لا ؟ بلى ، جائز !! .

قال تعالى : ﴿ **ويخلق مالا تعلمون** ﴾ (٩)

---

(٧) رواه أبو داود ، والترمذى وحسنه ، وابن ماجة .

(٨) النحل / ٦٠ .

(٩) النحل / ٨ .

ويقول سبحانه : ﴿ وللذين كفروا بربِّهم عذاب جهنَّم وبئس المصير . إذا أُلقُوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهى تَفُور . تكَادُ تميَّزُ من الغيظ كلما أُلقِىَ فيها فَوْجٌ سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذَّبنا وقلنا ما نزَّل الله من شئٍ إنْ أنتم إلا فى ضلال كبير . وقالوا لو كنَّا نسمع أو نعقل ما كنَّا فى أصحاب السَّعِير . فاعترفوا بذنبهم فَسُحْقًا لأصحاب السَّعِير ﴾ (١٠)

الكفار أنكروا واعترفوا بشهادة أعضائهم وحَوَاسِهم ، فتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بعد إنكارهم ما فى الورق الذى كتبته الملائكة .

وينكر المذنب ما يُنْسَب إليه على الرغم من أنه مكتوب فى كتابه بيد ملائكة كرامٍ بَرَرَة ، وهنا يحصل الفصل بينهم في المحكمة ..

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عُنُقه ونُخْرِجُ له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حَسِيبًا ﴾ (١١)

قال أنس رضى الله عنه :

« كُنَّا مع رسول الله ﷺ فضحك ، ثم قال : أتدرون مِمَّ أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ! قال : من مخاطبة العبد ربَّه يقول : يارب ألم تُجِرْنِى من الظلم ؟ قال : يقول بلى . قال : فيقول : فإنى لا أُجِيزُ على نفسى إلا شاهدًا منِّى . فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا ، وبالكرام الكاتبين شُهُودًا . قال : فَيُخْتَمُ على فيه ، ويقال لأركانه : انْطقى . قال : فتنطق بأعماله ، ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام ، فيقول لأعضائه : بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا فعَنكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِل » . (١٢)

---

(١٠) الملك / ٦ ـ ١١ .

(١١) الإسراء / ١٣ ، ١٤ .

(١٢) رواه مسلم .

ولله -تعالى- يوم القيامة محاكم عظيمة ومختلفة ، فيها ملائكة غِلاَظ شِدَاد ، وفيها قُضَاة من كبار الملائكة ، وهم يتباحثون فى قضايا خَلْق الله ، وكلٌ آت قريب ! وغداً يدركنا الموت فنرى « منكراً ونكيراً » ، ونتحقق من كل ما قرأناه وسمعناه فى كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، فلا محلّ إذن لقول : كيف يحدث ذلك ؟! **﴿ فَسُحْقًا لأصحاب السعير ﴾** أى : بُعْدًا لهم عن جنة الله سبحانه .

(يحكى) : أنه كان هناك رجل عابد ، وكان له مسألة مع ربه ، ويسأله : أنت الرحيم ياربى ! أنت الغفور ياربى ! فلماذا خلقتَ النَّار والخَلْق ضعفاء ؟!

فأتى مَلَك من الملائكة إلى الرجل وقال له : ألا تريد أن ترى مُلْك الله ، أى : بعض ملكه ؟! فلما رأى الرجل العابد ما رأى دُهِشَ ! ثم رأى ظُلْم العباد للعباد فوجده ظلمًا عظيمًا ، فدهش العابد أكثر .

فاصطلح مع الله ، ودعا ربه ، وقال : يجب ياربى أن تجعل هذه النار نارين ، وليست ناراً واحدة .

والله سبحانه وتعالى عادل لا يحب الظُّلْم ..

﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأنَّ الله ليس بَظلاَّمٍ للعبيد ﴾ (١٣)

وقد قضى من الأزل أن نعيم الجنة لا يفنى أبدًا ، وأن عذاب النار لا يفنى أبدًا ..

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« يُؤْتَى بالموت كهيئة كَبْشٍ أملح فينادى به مُنَاد : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون . فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه .

ثم ينادى مُنَادٍ : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون !

---

(١٣) البقرة / ١٨٢ .

فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رآه .

فَيُذْبَح بين الجنة والنار ..

ثم يقول : يا أهل الجنة ، خُلود بلا موت ، ويا أهل النار خُلُودٌ بلا موت .

ثم قرأ : (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضِىَ الأمر وهم فى غَفْلة وهم لا يؤمنون ﴾ (١٤) » . (١٥)

الموت رحيل من الدنيا .. ومثل ذلك السائق والسيارة المتعطلة ، فلا يرتبط بها سائقها ، فالسائق يذهب إلى البيت ، والسيارة تذهب إلى الورشة . وهكذا الإنسان حال الموت :

الجسد إلى القبر ، والروح إلى برزخها !

قال تعالى : **﴿ سلامٌ عليكم بما صبرتم فنِعْم عقبى الدَّار ﴾** (١٦)

« رقيب وعتيد » يقولون لأهل الجنة : سلام عليكم فأنتم تستحقون هذا النعيم ، ونِعمَّا ما أنتم فيه من دار الجنة !! .

﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنَّا الحَزَن إنَّ ربنا لغفورٌ شكورٌ . الذى أحَلَّنَا دار المُقَامة من فضله لا يَمَسُّنَا فيها نَصَبٌ ولا يمسُّنا فيها لُغُوب ﴾ . (١٧)

« **لُغُوب** » أى : تعب وجهد .

وقال سبحانه : **﴿ إن أصحاب الجنَّة اليوم فى شُغُلٍ فَاكِهُون ﴾** (١٨)

أى : مُتفكهين بالكلام الطيِّب .

---

(١٤) مريم / ٣٩ .
(١٥) رواه البخارى ومسلم .
(١٦) الرعد / ٢٤ .
(١٧) فاطر / ٣٤ ، ٣٥ .
(١٨) يس / ٥٥ .

قامت السلحفاة تشكو لربها من النسر الذى هدَّدها بأنه غـداً سيتغذى بها ، وكان ظهرها من اللحم ، فأصبح على ظهرها دِرعٌ يَقيها بعد أن باتَتْ تشكو إلى ربها وتقول :

« يا أَمَلِي فى كل نائبـة ، أشكو إليك أُمـوراً أنت تعلمهـا ، ولا قـوة لى على حَمْلِهَـا ولا جَلَد ، وقد رفعت يدي بالذُّل مفتقراً ، إلى خير من تُمَدُّ له يَدُ » .

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحـات لا نُكلِّف نفسًا إلا وسعهـا أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ . (١٩)

صـلَّى اللـه علـى طه خيـر الخلـق وأحلاهـا

وعلى الكرَّار أبى الكُرَمَا والزهـراء وأبْـنَاهَـا

« تم بحمد الله تعالى »

---

(١٩) الأعراف / ٤٢ .

الدرس السادس والتسعون

فى تفسير قوله تعالى :

إن المتقين فى جنَّات وعُيُون . ادخلوها بسلامٍ آمنين . ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ إخوانًا على سرر متقابلين ﴾

[الحجر / ٤٥ ـ ٤٧]

قالت الصوفية : يجب على المسلم أن يقلع عن المعاصى ، وأن لا يقضى وقتًا طويلاً فيها .. والذنوب والمعاصى تختلف : منها الصغائر ، ومنها الكبائر !

هناك ما يستوجب لها قليل من الماء للطهارة ، ومنها ما يحتاج إلى الكفارات كالصيام ، وإطعام المساكين ، وعتق الرقاب ، وهكذا .

وهناك من الذنوب ما يستوجب الاستغفار ..

فينبغى عليك أن تنهى نفسك عن المعصية بسرعة ، وتستغفر الله سبحانه .

يقول عليه الصلاة والسلام : « **أكْثِرُوا من ذِكْرِهَا ذِمِ اللذَّات** » (١)

ها ذم اللذَّات هو الموت ، ومن يتذكر الموت يستعد ، فطالما أنت متذكر الموت فاستعد له ، واحذر أن يأتيك الموت وأنت على حالة لا يرضاها الله تعالى .

فإنك إن استعددت للموت وجاءك على حالة يرضاها الله ، ظفرت بالجنة التى أعدَّها الله للمتقين ..

﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غِلٍّ إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين ﴾

---

(١) رواه الترمذي وقال : حسن ، والنسائى وابن ماجة من حديث أبى هريرة .

وحكمة الله تعالى أن يأتى بصَفٍّ من المؤمنين فى مواجهة صفٍّ آخر (أى : متقابلين) ؛ لأن المقابلة تدل على المحبة والإخاء والصفاء والمودة ، فالوجوه تتقابل ، والقلوب تتقابل . أما كون فلان قد أعطانى ظهره ، فهذا دليل الغضب والخصام ، أما المقابلة فهى دليل المحبة .

﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غِلٍّ تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ . (٢)

- قالوا : إن الرجل أقوى من المرأة ، وعقل الرجل يَزِيد على عقل المرأة مرتيْن ، ولكن المرأة تهزم الرجل .. فبماذا تهزمه ؟!

المرأة ضعيفة عقلاً وجِسْمًا ، ولكن الله سبحانه وهبها شيئًا يجعل الرجل يتذلَّل لها ، ولولا ذلك الشئ لقسا عليها الرجل وضربها ، فإذا غضب الرجل وانتابه الحزن لمن يشتكى ؟ لزوجته .. وإذا مات أبوه أو ماتت أُمُّه لمن يشتكى ؟ لزوجته ! إنها أُمٌّ بعد الأُم !!

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بَنِين وحفدة ورزقكم من الطيِّبات ﴾ . (٣)

فمن رحمته - سبحانه ـ جعل لكم من أنفسكم أزواجًا .. والدليل أنك عندما كنت طفلاً ، كنت تنام فى حُضْن أُمِّك .. وحين بلغت الرجولة تنام فى حضن زوجتك ، وتحرم عليك الأم والأخت والمحرمات .

وإذا عاملت زوجتك برحمة ولِينٍ وعطف ، عاملتك بعطفٍ ولِين ورحمة .. فكما تَدِين تُدَان ..

قال عليه الصلاة والسلام : **« خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى »** . (٤)

---

(٢) الأعراف / ٤٣ .

(٣) النحل / ٧٢ .

(٤) رواه الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها .

ومَنْ هم الأهل ؟

زوجته وبناته وأولاده .. هم أحبابك ، ومن غيرهم أحبابك ؟

ومتى تعرف مَن الأحباب والأجانب ، والأقارب والأباعد .. فلا تتجبر فى معاملتهم !! سبحان الله ! الأسد رأيته يَحْنُو على أولاده ويعطف ! وأنت أيضاً يجب أن تعمل بأعمال النبوة ، وتتعلم كيف كان النبى ﷺ يُعامِل أولاده ، وأهل بيته ، وأزواجه فى عطف وحنان ؟

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقومٍ يتفكرون ﴾ . (٥)

س ـ ما الحكمة من عدد الأيام بالنسبة لله تعالى فى قوله سبحانه :

﴿ ولقد خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مَسَّنَا من لُغُوب ﴾ (٦) ؟

جـ ـ اللغوب معناه : التعب .

وعدد الأيام فى خلق السمٰوات والأرض مسألة تقديرية يخاطب بها عقولنا القاصرة ، وحتى تقترب من أفهامنا ؛ ولنتعلم الحكمة والصبر والتأنى فى العمل ، ولأحكام أخرى لا يعلمها إلا هو ، وسبحانه وتعالى هو خالق الزمن والأعداد والأيام والأمكنة ، ويعرفها معرفة تجلّ عن فهم المخلوق .. وسبحانه لا يحيط به مكان أوزمان !

﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خَلْفهم ولا يحيطون بشئٍ من عِلْمِهِ إلا بما شاء ﴾ (٧)

وهو سبحانه عالم بكل شئٍ ويعرفه قبل خَلْقه ، وعِلْمه سبحانه لا نستطيع أن ندركه ، أو أن ندخل فيه ، أو أن تحيط به عقولنا وأفهامنا القَاصِرَة ، ولا نستطيع أن ندخل فى بحر علمه .

---

(٥) الروم / ٢١ .

(٦) ق / ٣٨ .

(٧) البقرة / ٢٥٥ .

س ـ سمعنا عن جَبَلٍ يقال له « جَبَل قاف » فأين هو ؟

جـ ـ قيل : إن هناك جبلاً اسمه جبل « قاف » وهو محيط بالدنيا لا يعلمه إلا الله ، ونحن نؤمن بأشياء لم نَرَهَا .. القلم ، والعرش ، والكرسى ، والسموات السبع وأنت رأيت البحر ، ولكن هل تعلم كم فيه من مخلوقات ؟ وكم فيه من أصناف ؟!!

س ـ من أسماء الله الحسنى « المُؤْمِن » ، وقد تطلق على الإنسان كلمة « المُؤْمِن » .. فهل هناك فرق ؟

جـ ـ كلمة « المؤمن » تطلق على الإنسان المؤمن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر ،وأن الموت حق ، والبَعْث حق ، وأن الجنة والنار حق .

وكلمة « المؤمن » أيضاً هى أسم من أسماء الله الحسنى .. فما هو المعيار المميز بينهما ؟ وبماذا يؤمن الله سبحانه وتعالى ؟!

معنى « المؤمن » الذى هو اسم من أسماء الله سبحانه : الذى يُؤَمِّن خَلْقَهُ من الخوف وينزل السكينة والإيمان فى قلوب عباده وقيل معناه : المصدّق لرسله بالمعجزات قال تعالى : ﴿ وآمَنَهُمْ من خَوْفٍ ﴾ . (٨)

أما الإنسان المؤمن ، فهو بمعنى يؤمن إيمانًا أى : التصديق .

فهو الذى صَدَّقَ بالله ربًا ، وبسيدنا محمد نبيًا ورسولاً ، وأنّ القرآن كلام الله القديم ، وصدَّق بالأنبياء والمرسلين ، وهكذا .

فتطلق هذه الكلمة « المؤمن » على الإنسان المؤمن أى : المصُدِّق .

س ـ هل سيدنا الحسين رضى الله عنه فى مقامه بمصر بجِسْمه ورُوحه ؟

---

(٨) قريش / ٤ .

جـ ـ لا شك أن سيدنا ومولانا الشهيد الحسين - رضى الله عنه ـ هنا فى مصر بجسده وروحه وقلبه وأنواره ، بكيفية يعلمها قلب وعقل كل مُوحِّد ومؤمن يؤمن بالله وكلماته ورسالاته واليوم الآخر .

ولا يشك فى هذا إلا منكر .. وقد جعل الله له مَقَامًا ومَشْهدًا مَشْهورًا فى مصر ، ولأنه قتل شهيدًا فهو حي فى قبره بروحه وجسده كما أخبر القرآن أما من يتكلمون بغير علم ، فلا تعبأ بهم ..

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا لأصبح الصخر مثقالاً بدينارِ

﴿ وإذا رأيت ثَمَّ رأيتَ نَعيمًا ومُلكًا كبيرًا ﴾ (٩)

س ـ حول عَرْض الأعمال ؟

جـ ـ أخرج الترمذى فى نوادره من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جَدِّه قال : قال رسول الله ﷺ :

« تُعْرَض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله ، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا ، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم » .

ولذلك كان النبى ﷺ يصوم يَوْمَى الاثنين والخميس حتى يُرْفَع عمله إلى الله وهو صائم .

أما عرض الأعمال على الأجانب .. فقد أخرج ابن المبارك ، وابن أبى الدنيا عن أبى أيوب قال : **« تعرض أعمالكم على الموتى ، فإن رأوا حسنًا استبشروا ، وإن رأوا سُوءًا قالوا : اللهم رَاجِعْ بهم » .**

---

(٩) الإنسان / ٢٠ .

وأما عن عرض الأعمال على رسول الله ﷺ فلم يُقَيَّد بيومٍ مُعيَّن ، أو مكانٍ مُعيَّن ، أو زمان مُعيَّن ..

أخرج البزار بسند رجاله رجال الصحيح ، عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **حياتى خير لكم تُحدثون ويحدث لكم ، فإذا أنا متُّ كانت وفاتى خيرًا لكم تعرض علىَّ أعمالكم ، فإن رأيت خيرًا حمدت الله ، وإن رأيتُ شرًا استغفرت لكم** » اهـ

وهو حديث مرفوع ، وله طريق آخر مرسل عن بكر بن عبد الله المزنى ، وغيره . فالنبى ﷺ حَيٌّ فى روضته الشريفة بلا خلاف ، وهو يسمع صلاة المصلِّين والمُسلِّمين عليه في أى مكان ، وفى أىِّ بلدٍ كما يسمع مَن يُصلِّى ويُسلِّم عليه عند روضته الشريفة .

كما أنه يردُّ السلام على مَن يُسلِّم عليه عند القبر الشريف بجسمه ورُوحه .. قال ﷺ : « **ما من أحد يُسَلِّمُ علىَّ - وفى رواية عند قبرى - إلا رَدَّ الله علىَّ روحى ، فأردّ عليه السلام** » (١٠)

س : ما حكم الجلوس مع الأشرار ؟

- يقول المثل الشعبى : « خَلِّيك بعيد عن الشر وقَنِّ له » أى : اجعل بينك وبينه قَنَايَة أى : حاجزًا ومانعًا . **وقد قال عليه الصلاة والسلام من رواية الترمذى عن جابر بن عبد الله « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدَار عليها الخَمْرُ »** ، إذ رائحته تؤذيك ، ومن يجتمعون معك عليها من رجال أو نساء يؤذونك وتكون مشاركا لهم فى الإثم ، وخاصة إذا لم تنكر عليهم وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر ، وصدق حديث رسول الله ﷺ :

« **مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك**

---

(١٠) رواه أبو داود .

من صاحب المسك : إما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة » (١١)

فجليس الخير ابحث عنه ، وجليس السوء ابتعد عنه ، والهداية من الله تعالى وحده . وإذا أراد الله هداية ابن آدم تتحرك روحه بشهوات الخير .

ولكن ما هى شهوات الرُّوح ؟

هى قراءة القرآن الكريم ، وسماعه ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، والتصدُّق على الفقراء والمساكين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومحبة الصالحين وزيارة مجالسهم ، وزيارة مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه ، وغيره من أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين .

أما شهوات النفس ، فلا نهاية لها ؛ لأنها أمارة بالسوء ، وكل شهواتها دنيوية لأنها عاجلة .. تقول لك : بماذا تُفْطِر ؟ وبماذا تتغدّى ؟ وهكذا ... تُسوِّل لك بلا شبع لشهوتى البطن والفرج .

وإذا كان معك جنيهٌ وشممت رائحة اللحم المشوى ، سوَّلت لك نفسك أن تأكل به وحدك ، دون أولادك المحتاجين لجزءٍ منه !! .

سبحان الله العليم .. **﴿ ولا يحيطون بشئٍ من علمه إلا بما شاء ﴾** (١٢)

ابن آدم لا يعرف كُنْه نَفْسه ! الأمريكان ، والرُّوس يتساءلون :

ابن آدم حين ينام أين يذهب ؟!! وأين تذهب رُوحه ؟!!

هم يريدون إمساكها ، وتتبُّع مراحل سفرها عبر النوم ، وبكل جهدهم وأجهزتهم المطورة حاولوا هذا بكل الوسائل ، ومع هذا لم تفلح محاولاتهم ، ولم يتمكنوا من معرفة شئ ..

---

(١١) رواه البخارى عن أبى موسى .

(١٢) البقرة / ٢٥٥ .

وصدق الله العظيم :

﴿ الله يتوفَّى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مُسَمّى إن فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ﴾ (١٣)

فإذا خرجت رُوح ابن آدم ، فلا أحد يستطيع إرجاعها ، ولا العصبة أولو القوة .

لا تستطيع أن تمنع خروج الرُّوح من بنى آدم إذا حضرت الملائكة لأخذها ، فإذا أخذتها قُضِىَ الأمر !

﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ . (١٤)

(ومما يحكى) : أنه كان هناك سبعة إخوة أشداء ، وكانت لهم أخت واحدة مريضة ، وعندما حضرتها الوفاة أُشير عليهم بأن يُحْضِرُوا بنادقهم وعندما تحضر الملائكة لقبض رُوحها يمنعونها بالقوة !!

ولكن أين ؟! وكيف ؟!! فهم لم يروا الملائكة ، ولم يروا الرُّوح عند خروجها مع الملائكة ..

تحضر عسكر من الملائكة وأمر الله معهم ، شئٌ عظيمٌ ! كل ذلك لأخذ الرُّوح ولا أحد يراهم أبداً .. ولكن مَنْ يراهم ؟ إنه الله - تبارك وتعالى - سبحان الله العظيم !!

- بالاستقامة جاءت الكرامة ، وبعدم الاستقامة تجئ الندامة .

(يحكى) : أن أخويْن كانا فى الزمن الماضى ، أحدهما عَبَدَ اللَّهَ عشرين عامًا ، والثانى كان عاصيًا وكان العابد يسكن بالطابق العلوى ، والآخر يسكن فى الطابق الأسفل بنفس

---

(١٣) الزمر / ٤٢ .
(١٤) الواقعة / ٨٣ - ٨٧ .

المنزل ، وفى لحظة تغيَّر كلٌّ منهما ، ليحدث ما قدَّرهُ اللهُ لهما من قضاء أزلىّ ، فقد أراد الطائع أن يَنزِلَ للعاصى ، وأراد العاصى أن يصعد للطائع ليعبد الله معه ، وأثناء تنفيذ ما عَزَمَا عليه سقط مَنْ بالطابق العلوى على الآخر لانهيار المنزل بهما ، فمات أحدهما على المعصية بعد الطاعة ، وعبادة عشرين عامًا ، ومات الآخر على الطاعة بعد عصيان عشرين عامًا . فهذا ساءت عاقبته وذاك حسنت خاتمته ، قال عليه الصلاة والسلام : **« إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله . قيل كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه »** (١٥)

وفى رواية الإمام أحمد والحاكم عن عمرو بن الحمق « يفتح له عملا صالحًا بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله »

وهذا هو حُسْن الخاتمة ! نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهلها آمين

(تم بحمد الله تعالى)

---

(١٥) رواه الإمام أحمد والترمذى وابن جبان والحاكم عن أنس وهو حديث صحيح .

الدرس السابع والتسعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ أَمَّنْ هو قَانِتٌ آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكّر أولو الألباب ﴾

[الزمر / ٩]

سَلِّم الأَمْرَ تَجِدْنَا نحنُ أَوْلَى بِكَ مِنْكا

قال سيدى أبو البركات الدردير رضى الله عنه :

« إذا أردتَ من الله ما تُحبّ ، فقدِّم إليه ما يُحِبّ »

إذا أردت أن يُحِبَّك الله تعالى .. آه ! .. النوم ! فى عز المنام الجميل فى الشتاء تحت دفء الغطاء .. قم من هذا المنام واذكر ربك ، وصلِّ له ، **﴿ أَمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أُولُو الألباب ﴾** .

فمن قام فى آناء الليل مُصَلِّيًا ساجداً يذكر ربه ، ويخاف عذابه ، ويرجو رحمته ، فجزاؤه عند الله المنزلة العليا في الجنة ..

﴿ وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيمًا وملكاً كبيراً ﴾ (١)

فالله سبحانه يقول : إن لى عباداً إذا رأيتَهم فى الجنة ، رأيت مُلْكًا ونعيمًا كبيراً ، وأحباب الله من يوم خروج أرواحهم فى ملك ونعيم الله تعالى ، وقبورهم روضات من رياض الجنة ، وفى الآخرة مُلْك ونعيم كبير ..

---

(١) الإنسان / ٢٠ .

الليل ! يا سلام ! ، وفى الليل كلام وأعمال .. وكم فيك من قائم يالليل ؟! وكم فيك من متعبد يالليل ؟ وكم فيك من تالٍ للقرآن يالليل ؟ وكم فيك من ساجد يالليل ؟!

﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شُكُورًا . وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا . والذين يبيتون لربهم سُجَّدا وقيامًا ﴾ (٢)

أيها المرتحل ! مهما طال أجلك تستوفيه كاملاً ، ولكنك حتمًا سترحل ! وإذا علمت أنك سترحل ، فاستعد ليوم الرحيل ، واحذر الشياطين ، فهم أعداء واقفون متربصون بك ، لايريدون إلا سَدَّ الطريق عليك .. فقد توعَّد كبيرهم اللعين :

﴿ لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ﴾ (٣)

أما أهل التقوى والصلاح ، فلا يمكنه أن يتسلَّط عليهم :

﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً ﴾ (٤)

أما مَن أتى إليك يا إبليس ، فَلَكَ أن تتسلط عليه ، وتُلجمه بلجامك .. وطالما أن القلب مشغول بغير الله ، فلا يشعر المرء بما يجرى حوله ..

﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ . (٥)

فيا أخى تأدب مع الله ! تقرَّب إليه بما يحب ، يُقدِّم إليك ما تُحبّ .

وتحظى بالمعية الإلهية .. كما فى الحديث القدسى : الله تعالى يقول : « **أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحرَّكت بى شفتاه** » (٦)

---

(٢) الفرقان / ٦٢ ـ ٦٤ .
(٣) الأعراف / ١٦ .
(٤) الإسراء / ٦٥ .
(٥) ق / ١٦ .
(٦) رواه ابن عساكر .

وفى الحديث القدسى : يقول سبحانه « **وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرتُهُ فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير من ملائه** » . (٧)

(يحكى) : أن رجلاً من الكفار ركب مع جماعة من المسلمين البحر فى سفينة ، وفى أثناء الرحلة جلس معهم ، وسمع عن الإسلام منهم ، فأسلم وحسُن إسلامه ، فلما أتى الليل سألهم ذلك الرجل : هل ربكم ينام بالليل ؟!

فقالوا : لا . فقال : العبدُ الذى ينام أمام سيده مُسِيءٌ للأدب ! .

وعندما نزلوا إلى البَرِّ قالوا له : نذهب بك إلى حاكم البلدة ، ليجد لك عملاً !! فقال : أنا ما سألتكم ذلك ، فقد عبدتُ غير الله وخدمته فرزقنى ، فكيف بى إذا عبدتُ الله وخدمتُ ربَّ العالمين ؟!!! .

وقال الرجل التركى : الولاية عِنَاية من رب الولاية ..

العناية قبل الولاية ، والسعادة قبل الولادة .

دَعْك من التفكير فى أمور المعاش فى الدنيا ! ، فلا يوجد شئٌ صعبٌ أبدًا ! ما صَعْب غير ابن آدم ..

قال عليه الصلاة والسلام :

« **ركعتان يركعهما العبدُ فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ، ولولا أن أشُقَّ على أُمَّتى لفرضتهما عليهم** » . (٨)

يا سلام ! ﴿ **أمَّن هو قَانِتٌ آنَاءَ الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ .

مَنْ هم هؤلاء ؟

---

(٧) رواه البخارى .

(٨) رواه الديلمى فى مسند الفردوس .

هم أهل العلم ، وأهل الكمال ، وأهل الذَّكاء والفطنة ..

هل هذا الكلام مُوجَّه لبائعى « البطاطا » أو « الطماطم » ؟! لا .. لا .. هو مُوجَّه لأهل العلم العاملين به .. وإن كنت من أهل علْم العقول فقط دون العمل ، فمطيَّتك غير صالحة ، وجَوَادُك لا ينفع ؛ لأن الإيمان ليس كلامًا فقط ، بل هو إقرار بِالجَنَان ، وذِكْر باللسان ، وتصديق بالعمل ..

﴿ تتجافى جُنُوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّة أعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ . (٩)

يقول الله تعالى : إن لى عبادًا يتعاركون مع المضاجع ، ويقولون لها : تركناكم لله ! ويقولون للبرد فى شِدَّته : ماذا ستفعل لنا ، وأنت مخلوق مثلنا ؟!!

يا ابن آدم ، إلى متى هذا الحال ؟ كثير من الناس يُصَلُّون الفجر ، وأنت لا تصلى لا في المسجد ، ولا فى البيت .. احذر الله ، وخَفْ عقابه !

فكم أُعِدَّ للعُصَاة من سِيَاط ومَطَارِق ؟! سَارِعْ بالتوبة وادخل حظيرة طاعة مولاك ، وخلِّص نفسك يا ابن آدم ! .

ولا يحلّ لك يا ابن آدم أن تتحدث إلى امرأة من المحارم ، ولا أن تنظر إلى وجهها ، أو يديْها أو رجليْها ، أو لأى جزء فى جسدها .

وبالأولى يحرُمُ الجلوس مُلاصِقًا لها فى مواصلات أو غيرها .

ويحرم على المرأة كذلك محادثة المحارم من الرجال .. ولكن كيف أعرف هذا ؟ وأتبيَّن حُرْمَته ؟

آه ! ارجِعْ إلى القرآن الكريم ، تجد فيه كل شئ :

---

(٩) السجدة / ١٦ ، ١٧ .

﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ (١٠)

قال تعالى : ﴿ ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خَلْفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ . (١١)

وفى هذا الزمان النساء حبائل الشيطان ، فَهُنَّ حولك من كل جهة .. عن يمينك امرأة .. وعن شمالك امرأة .. ومن خَلْفك امرأة .. ومن أمامك امرأة !!

﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً مَوفُورًا . واستفزز مَن استطعت منهم بصوتك وأَجْلِبْ عليهم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وشاركهم فى الأموال والأولاد وعِدْهُم وما يعدهم الشيطان إلا غُرُورًا ﴾ (١٢)

كيف يشاركهم فى الأموال ؟ وكيف يشاركهم فى الأولاد ؟ إذا دفعت المال فى الحرام ، فقد أطعت الشيطان وشاركك فيه .. أما إن دفعته فى الحلال ، فقد أطعت أمر الله ، ويُبَارِك لك فيه ..

﴿ إنَّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفُورًا ﴾ (١٣)

أما عن مشاركة الشيطان فى الأولاد ، فإن الشيطان يشارك الرجل فى الجِمَاع إذا لم يستعذ بالله منه !

قال عليه الصلاة والسلام : « إذا جامع أحَدُكُم فليقل : اللهُمَّ جَنِّبْنِى الشيطان ، وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إذا لم يَقُلْ ذلك جَامَعَ الشيطانُ معه فيخرج الولدُ من بينهما » . (١٤)

---

(١٠) الأنعام / ٣٨ .
(١١) الأعراف / ١٧ .
(١٢) الإسراء / ٦٣ ، ٦٤ .
(١٣) الإسراء / ٢٧ .
(١٤) رواه البخارى ومسلم .

فيجب أن نتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم ، ونتبع دعاء النبي ﷺ ،، فالزوجة نعمة ، وأنت مُطَالَبٌ أن تذكر الله عندما تأتى النعمة .. قال الشيخ السمالوطى ـ رحمه الله ـ : الشيطان يلازم الإنسان ويسير معه دائمًا لا يتركه فى مسجد ، ولا فى غير مسجد ، والرجل حينما يدخل منزله ، يدخل معه الشيطان يبحث عن عَشَاء ومَبِيت ، ولكن حين تفتح الزوجة الباب فإن قال الرجل « بسم الله » قبل أن يدخل المنزل ، حضرت الملائكة بالسِّيَاط ، وفَرَّ الشيطان قائلاً : لا مَبِيت لنا هنا الليلة ، ولكنه لا يخرج إلا بعد العَشَاء ، فإذا حضر العَشَاء وقال الرجل : بسم الله ، قال الشيطان : ولا عشاء لنا الليلة هنا ..

وهذا هو معنى حديث مَرْوِىّ عن رسول الله ﷺ فى صحيح مسلم ..

يقول عليه الصلاة والسلام :

« إذا دخل الرجل بيته ، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مَبِيت لكم ولا عَشَاء .. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبِيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال : أدركتم المَبِيت والعَشَاء » .

شيطان المسلم ضعيف ؛ لأن المسلم يُسمِّى الله في كل شئ ، أما شيطان الكافر فهو قوىّ ، يشاركه فى كل شئ .. فى الزوجة .. والأكل .. والمَبِيت .

فأذكُر الله يَضْعف شيطانك ؛ لأن الكون مَلِئ بالجن أولاد إبليس ! فقوِّ إيمانك بالله ، وأَضْعِفْ شيطانك بالله .

سبحان الله ! يرى النملة الصغيرة فى الليلة الظلماء ، ويسمع دبيب حركتها على الصخرة المَلْسَاء .. إله رحمن رحيم ، وَدُود كريم ، رازق لطيف عَطُوف .. سبحان الله العظيم ﴿ **لا تُدركه الأبصار وهو يُدْرِك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ . (١٥)

---

(١٥) الأنعام / ١٠٣ .

ومن أسمائه الحسنى وصفاته : « المهيمن » سبحانه وتعالى !

ومعنى هذا الاسم الرقيب الحافظ لكل شئ ، والمُسَيْطِر على كل شئ ، وبيده ملكوت كل شئ .

تَذكَّرْ ربَّك دائمًا ، واجْعَلِ اللهَ فى وَعْيك دائمًا ولا تغفل عنه ؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يغفل عنك طرفة عَيْن ، ولا يغفل عن أعمالك ، فلا يخفى عن علْمه طَرْفة عينيك ، أو هَمْسة تهمس بها ، أو ما تُحدِّث به نفسك .. الله يعلم منك كل شئ تُبْدِيه أو تُخْفِيه :

﴿ والله يعلم متقلبكم ومثْوَاكُمْ ﴾ (١٦)

فى المنزل معك .. وفى العمل معك .. وفى المزَارِع معك .. وفى الشارع معك .. وهو أعلم بك فى الليل والنهار .. فكيف تغفل يا ابن آدم عمَّن لا يغفل عنك .. سبحان الله مهيمن على كلِّ شئٍ .

اللهم لك الحمد على الإسلام ، ولك الحمد على الإيمان الذى يوصلنا إلى الجنة .. وعندئذ نقول : **﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾** . (١٧)

ومن فضل الله على عباده المؤمنين أنْ جعل لهم ثلاث جِنَان :

الأولى : جَنَّة فى الدنيا .. قال رسول الله ﷺ :

« إذا مررتم برياض الجنة فَارتَعُوا ! قالوا : وما رياض الجنة قال : المساجد ـ وفى رواية : حلق الذكر » . (١٨)

- والجنة الثانية : جَنَّة القَبْر .. قال رسول الله ﷺ :

---

(١١) رواه البخارى عن أبى موسى .

(١٢) البقرة / ٢٥٥ .

« القبر إماروضة من رياض الجنة وإمَّا حفرة من حُفَر النَّار » . (١٩)

– والثالثة : جنة الآخرة التى وعد الله بها عباده المؤمنين ، وفيها ما لا عَيْن رأت ، ولا أُذُن سمعت ، ولا خَطَر على قَلْب بَشَر .

﴿ مَثَلُ الجنَّة التي وُعِدَ المتقون فيها أنهارٌ من ماء غير ءَاسِن وأنهار من لَبَن لم يتغيَّر طَعْمه وأنهار مِن خَمْرٍ لَذَّة للشاربين وأنهار من عَسَلٍ مُصَفّى ولهم فيها مِن كلِّ الثَّمرَات ومغفرة مِن ربِّهم ﴾ (٢٠)

فالدنيا فيها جنَّة ، والقبر فيه جَنَّه ، والآخرة فيها جَنَّة ، فإياك أن تفوتك أىّ جَنَّة فيها !!

روى أن النبى ﷺ كان يُجَالس أصحابه بالمسجد ، فدخل ثلاثة نَفَر ، أما أحدهم فرأى فُرْجَة (مكانًا خاليًا) فجلس فيها ، وأما الثانى فجلس عن قرب ، وأما الثالث فخرج .. فقال عليه الصلاة والسلام : **« ألاَ أدلّكم على النَّفَر الثلاثة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : أما الذى وجد مكانًا وجلس فيه ، فهذا رجل أوى إلى الله ، فآواهُ الله . وأما الذى جلس عن قرب ، فهذا رجل استحيا من الله فاستحيا الله منه ، وأما الذى خرج ، فهذا رجل أعرض عن الله ، فأعرض الله عنه »** . (٢١)

« ودخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسجد فوجد حلقتين : وجد قوما يقرأون العلم ويتدارسونه فيما بينهم ، ووجد قوما يذكرون الله ـ تبارك وتعالى ـ فأثنى على المجلسين خيراً ، ثم جلس مع الذين يتدارسون العلم وقال : « إنما بعثت معلما » (٢٢) فحلقات الذكر روضة من رياض الجنة ، وفيها التجليات ، وفيها الأنوار ، وكذلك حلقات العلم وحلقات القرآن ، وورد فى سُنن الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال :

---

(١٩) رواه الترمذى ، والطبرانى .
(٢٠) محمد / ١٥ .
(٢١) رواه البخارى .
(٢٢) رواه ابن ماجه .

« خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة « الرحمن » من أولها إلى آخرها ، فسكتوا . فقال : لقد قرأتها على الجنّ ليلة الجن ، فكانوا أحسن مَرْدُودًا منكم ، كنتُ كلما أتيتُ على قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قالوا : لا بشيءٍ مِنْ نِعَمِكَ ربنا نُكذِّب فلك الحمد » .

وآيات الله تعالى فى القرآن الكريم إما آيات تذكر إجمالاً وبعضها الآخر يذكر أحوالاً .. فقوله تعالى : ﴿ **كل مَن عليها فَانٍ** ﴾ (٢٣) تذكر إجمالاً .. أما الآيات التى تذكر التفصيل أو الأحوال فمثل قوله تعالى : ﴿ **وإذا السماء كشطت** ﴾ (٢٤) وقوله سبحانه : ﴿ يوم تأتى كل نَفْس تُجَادِلُ عن نفسها ﴾ (٢٥) وهكذا ..

س ـ هل يجوز للرجل أن يتزوج أخت أخيه من الرضاعة ؟

جـ ـ يجوز للرجل أن يتزوج أخت أخيه من الرضاعة ، مثل : أحمد رضع مع سعاد ، فيجوز لإخوة أحمد أن يتزوجوا سعاد .

وكذا يجوز لأخوات سعاد أن يتزوجوا أحمد ، ولكن أحمد لا يجوز له الزواج من سعاد ، لا هى ولا مَنْ فوقها ، ولا من تحتها أى : ولا أُمّها ، ولا ابنتها ..

« تم بحمد الله تعالى »

---

(٢٣) الرحمن / ٢٦ .
(٢٤) الكير / ١١ .
(٢٥) النحل / ١١١ .

الدرس الثامن والتسعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ هذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ معكم لا مرحبًا بهم إنهم صَالُوا النَّار . قالوا بل أنتم لا مرحبًا بكم أنتم قدَّمتموه لنا فبِئْس القرار . قالوا ربنا مَن قَدَّمَ لنا هذا فَزِدْهُ عذابًا ضِعْفًا فى النّار ﴾ .

[ص / ٥٩ ـ ٦١]

سبحان الله ! كلام الله ـ تعالى ـ فيه كل شئ .. يوم القيامة يتخاصم أهل النار ، ويُلْقِى بعضهم اللوم على بعض .

وفى هذا اليوم أيضاً يَعَضُّ الظالم على يديه حسرة وأَلَمًا وندامة ، ويلقى أوزاره على الشيطان وقد خذله ، فيقول الظالم : إن الشيطان هو الذى علَّمنى الفسق والظم والشيوعية :

﴿ ويوم يَعَضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذتُ مع الرسول سبيلاً . يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً . لقد أضَلَّنِى عن الذكْر بعد إذْ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خَذُولاً ﴾ . (١)

نعوذ بالله ! هذا الزمان يُصْبِح المرء مؤمنًا ويُمْسى كافرًا : يُصبح مؤمنًا فإذا وجد رجلاً شيوعيًا كافراً يقول له كلامًا شيطانيًا ، فَيُكَفِّره فَيُمْسى كافرًا . يُقَلِّب الله قَلْب العبد بين أصبعيْن من أصابعه ، فيصبح مؤمنًا ويُمْسى كافرًا ، ويُمْسى مؤمنًا ويُصبح كافرًا ..

اللهم يا مُقلِّب القلوب ثَبِّتْ قلوبنا على الإيمان ، وثَبِّت قلوبنا على دينك . قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩ .

« المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَن يُخَالِل » (٢)

« يُخَالِل » : أى مَن يُصَاحِب ، أو مَن يُصَادِق .

فلا تتخذ لك صديقاً أو خليلاً أو صاحبًا شيوعيًا ، أو كافراً ، أو لاَهِيًا وعابثًا ومَارِقًا من دين الله !! .

ويُعْرَف المرءُ بقرينه : **﴿ لقد أضلنى عن الذكر بعد إذْ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خَذُولاً . وقال الرسول يارب إنَّ قومى اتخذوا هذا القرآن مَهْجُورًا ﴾** . (٣)

إذا تركوا العمل بالقرآن ، وتركوا الإيمان به فقد هجروه !

قال تعالى : **﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾** (٤)

كلام الله فيه كل شئ : عبادة الله الواحد الأحد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) عقيدة التوحيد ، وفيه العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة ، وأحكام العبادات من طهارة ووضوء ، كما أن فيه تنظيم المعاملات بين الناس من وفاء بالعُقُود ، وكتابة الدَيْن ، والميراث والوصية ، والشهادة ، والتجارة ،والقصاص ، والحدود ، والتعاذير ، ونعمَ الله على مخلوقاته ، وفيه إخبار عن مخلوقات الله من جَمَاد ، وطير ، ونبات ، وحيوان ، وجنّ ، وإنْس ، وملائكة ، وشياطين ، وسموات ، وأرضين ، وشمس ، وقمر ، وأفلاك ، وأكوان ، وأخبار وعِبَر من الأمم السابقة ، وقصص الأنبياء والمرسلين ، وضرب للناس فيه من كل مثل : **﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾** (٥) ، **﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾** . (٦)

فكلام الله ـ سبحانه ـ فيه كل شئ ، ولكنهم تركوه وتغلَّب عليهم الشيطان : **﴿ ولقد**

---

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك .
(٣) الفرقان : ٢٩ ، ٣٠ .
(٤) الأنعام : ٣٨ .
(٥) النحل : ١٨ .
(٦) لقمان : ٢٠ .

صدَّق عليهم إبليس ظَنَّهُ فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴾ (٧) لقد غَلَّب عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه ، فيظن بعض مَن اتبعه أنه من أهل الجنة ومن أهل الحق ، كيف ؟!!

هل أتاك وَحْى من السماء ؟ هل أتاك مَلَك ؟

والخير له علامة ! أين هى ؟ هل ما أودعه إبليس في ظَنِّهم ، واتباعه هو تَرْك العمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله .. فهل هذه علامة أهل الجنة ؟ أم أن علامة أهل الجنة هى التمسك بكتاب الله والعمل به ، واتباع سُنَّة رسوله ﷺ والاقتداء بأصحابه رضى الله عنهم ، واتباع مذهب من مذاهب الأئمة الأربعة المجتهدين ، ومحبة النبى ﷺ وآله رضى الله عنهم ، وحُسْن الظن بالخَلْق والخَالق ، والإخلاص لله فى السِّر والعَلَن ، وبذلك تكون قد خالفت إبليس ، وخالفت ظنَّه :

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه : **ما منكم من أحد يُدْخِلُهُ عملُهُ الجنة ولا يُنجيه من النار ! ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ! قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى اللهُ برحمته** » . (٨)

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ككم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٩)

فليس معني أنك تزوجت وأنجبت ذرية أن مُهمتّك قد انتهت ! لا .. بل أنت مسئول عن

---

(٧) سبأ / ٢٠ .

(٨) متفق عليه .

(٩) رواه الإمام أحمد والبيهقى وأبو داود والترمذى ـ عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما .

زوجتك وأولادك أمام ربّ العالمين ، فيجب عليك أن تؤدبهم وتُعلِّمهم القرآن ، وآداب الشرع ، والطهارة ، والوضوء ، والصلاة ، والصوم ، ... وهكذا . والإنسان إذا اتبع القرآن عاش آمنًا مطمئنًا !

ربنا اسمه « المؤمن » يؤمن خوف المؤمنين ، واسمه « اللطيف » يلطف بحال من قال « يا لطيف » ، واسمه « النصير » ينصر من قال : إنِّى مظلوم ..

الله تعالى قال في شأن سيدنا نوح على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام : **﴿ فدعا ربَّه أنِّى مغلوبٌ فانْتَصِرْ . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجَّرنا الأرض عُيُونًا فَالْتَقى الماء على أمْرٍ قد قُدِر . وحملناهُ على ذات ألْواح ودُسُر . تجرى بأعيننا جزاء لِمنْ كان كُفِرْ . ولقد تركناها آية فهل من مُدَّكر ﴾** (١٠)

يقول الله تعالى : أنا اسمى « المُجيب » إلى الأبد ، أُجيبك يا مؤمن مُذْ خلقتك إلى الأبد ..

سبحانك يارِبِّى لا تغفل عنى !!

﴿ وإذا سألك عبادى عنِّى فإنِّى قريب أُجِيبُ دعوة الدَّاعِ إذا دَعَانِ فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ (١١)

﴿ وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنَّم دَاخِرِين ﴾ (١٢)

جاء أعرابى يومًا يطلب من النبى ﷺ شيئًا ، فأعطاه ﷺ ، ثم قال له : أحسنتُ إليك ؟ قال الأعرابى : لا ، ولا أجملت . قال : فغضب المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم : أن كُفُّوا . ثم قام ودخل منزله ، وأرسل إلى الأعرابى وزاده شيئًا ، ثم قال : أحسنتُ إليك ؟!

---

(١٠) القمر / ١٠ ـ ١٥ .
(١١) البقرة / ١٨٦ .
(١٢) غافر / ٦٠ .

قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . فقال له النبى ﷺ : إنك قلتَ ما قلتَ وفى نَفْس أصحابى شئ من ذلك ، فإنْ أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يَذْهَبَ من صدورهم ما فيها عليك ، قال : نعم . فلما كان الغد أو العشى جاء فقال النبى ﷺ : إن هذا الأعرابى قال ما قال فزِدْنَاه ، فزعم أنه رضى أكذلك ؟ فقال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال ﷺ : إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رَجُل كانت له ناقة شردت عليه ، فاتبعها الناسُ فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحب الناقة : خَلُّوا بينى وبين ناقتى ، فإنى أرفق بها وأعلم ، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها ، فأخَذَ لَهَا من قُمامَ الأرض فَرَدَّها هَوْنًا هَوْنًا حتى جاءت واستناخت وشَدّ عليها رحلها واستوى عليها ، وإنِّى لو تَركتكم حَيث قال الرجل ما قال فقتلتموه ، دَخَلَ النَّار » . (١٣)

فاق النبيِّين فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ولم يُدَانُوهُ فى عِلْمٍ ولا كَرَمِ

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيِّبة كشجرة طيِّبة أصْلُهَا ثابت وفَرعُهَا فى السماء . تؤتى أُكُلها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ ربِّهَا ويضرب الله الأمثال للنَّاس لعلهم يتذكرون** ﴾ (١٤)

ومَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فى آجَامِهَا تَجِمِ

« تم بحمد الله تعالى »

---

(١٣) رواه البزار .

(١٤) إبراهيم / ٢٤ ، ٢٥ .

الدرس التاسع والتسعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصْرف عنا عذاب جهنَّم إن عذابها كان غَرَاما . إنها سآءت مستقراً ومقاماً﴾ . [الفرقان / ٦٣ - ٦٥]

ولقد جَعَلْتُكَ فى الفؤاد مُحدِّثى ... وأبحت جِسْمِى مَنْ أَرَادَ جُلُوسِى

فالجِسْمُ منِّى للجليس مُؤانِسٌ ... وحبيب قلبى فى الفؤادِ أنيسى

(**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً**) أى : يمشون فى تؤدة واقتصاد . وهذا يدل على حِلْمِهم وتواضعهم .

والقصد والتؤدة من أخلاق النبوة : قال رسول الله ﷺ :

«ما زاد اللهُ عبداً بِعفْوٍ إلا عِزاً ، وما تواضع أحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ»(١)

(**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سَلاَماً**) قال بعضهم : ليس (سَلاَماً) من التسليم ، إنما هو من التسلُّم ... تقول العرب : «سلاماَ» أى : تَسَلُّماً منك ، أى : براءة منك . وقيل معناه قالوا قولاً سديدا يسلمون به من الأذى .

(والذين يبيتون لربِّهم سُجداً وقِياَماً) أى : إذا أدركهم الليل قَاموا لله عَزَّ وجلَّ فى تبتُّلٍ وخشية راكعين ساجدين .

---

(١) رواه مسلم .

وقد قال بعضهم :

امْنَعْ جُفُونَك أنْ تَذُوقَ مَنَامَا ... وَاذْرِ الدُّمُوعَ عَلَى الخدود سِجَامَا

واعْلَمْ بأنَّكَ مَيِّتٌ ومُحاسَبٌ ... يَا مَنْ عَلَى سَخَطِ الْجَلِيلِ أَقَامَا

للَّهِ قَوْمٌ أَخْلَصُوا فِى حُبِّهِ ... بَاتُوا هُنَالِكَ سُجَّداً وَقِيَامَا

خُمْصُ البُطونِ من التعفُّف ضُمَّراً ... لاَ يَعْرِفُونَ سِوى الْحَلالِ طَعَامَا

وهم يقولون فى سُجُودهم ﴿ربنا اصْرِفْ عَنَّا عذاب جهنم إن عذابها كان غَرَاماً﴾، ومعنى «غَرَاماً» : أى لازماً دائماً غير مفارق .

ومنه سُمِّى «الغَرِيم» لملازمته .

(**إنها ساءت مستقرًا ومُقاماً**) أي : بئس المستقرّ ، وبئس المُقَام.(٢)

رضي الله عن أهل الله ، الذين قاموا بخدمته حق القيام :

(تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يدعون ربهم خَوْفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون)(٣)

أما أولئك الذين لا هَمَّ لهم سوى الطعام والشراب ، وقضاء طول الليل مع نسائهم هل هؤلاء من المتهجدين ؟! لا .

وقد كان النبي ﷺ يقول لزوجته السيدة عائشة - رضي الله عنها - وهي أحب أزواجه إليه :

«دَعِينى أتعبَّد لخالقى» .

---

(٢) يراجع تفسير هذه الآيات عند القرطبى فى تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» .

(٣) السجدة / ١٦ .

الزوجة نعمة أتي الله بها إليك لا لتصرفك عن عبادته ، ولكن لكي تحصنك وتكون رجلاً كاملاً أمام ربك ، وتواظب على عبادته .

فهى نعمة مقدمة إليك من الله لكى تعبده ، لا لتصرفك عن عبادته ، فمن انشغل بها عن ربه ، فعذره غير مقبول ، هل تريد أن تكون مثل المنافقين القائلين :

(شغلتنا أموالنا وأهلونا فاسْتَغْفِرْ لنا)(٤) ؟! لا ... لا ...

يا خَادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بخدمتِهِ ... أتعبتَ نفسَكَ فيما فِيهِ خُسْرانُ

أقْبِلْ عَلَى الروحِ فَاسْتَكْمِلْ فَضَائلها ... فَأَنْتَ بالروحِ لا بِالجِسْمِ إنْسَانُ

قال تعالى : (وتَزوَّدوا فإنَّ خير الزَّاد التَّقْوى)(٥)

فكما أن للجسد زَاداً وهو الطعام والشراب ، كذلك للروح زادٌ ويفضل زاد الجسد فما هو زاد الروح ؟ زاد الروح هو ذِكر الله ، وبالتدريج : لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ...

روى عن النبى ﷺ أنه قال :

«ما ملأ آدَميٌ وعاءً شَرًّا من بَطْنه ، حَسْب ابن آدم لقيماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه ، فإن لم يفعل فَثُلُثٌ طَعَامٌ ، وثُلُثٌ شَرابٌ ، وثُلُثٌ للنفس» . (٥)

النبى ﷺ حليم فيجب ألا نخالف كلامه ، بل يجب أن نتبع سُنته فطاعته من طاعة الله تعالي .

---

(٤) الفتح / ١١ .

(٥) رواه الترمذي وحسنه ، والنسائى .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : «مِنْ حُسنِ إسْلامِ المرء تركه مالا يعنيه»(٦)

س - ما معنى قوله تعالى (وأنَّ المساجد لله فلا تدعُوا مع الله أحداً) ؟

جـ - بيوت الله في الأرض المساجد ، فمن المسئول عن المساجد ؟

الله تعالى ، ومن الذي يقضي الحوائج للسائل ؟ الله تعالى .

ومَن الذى يغفر الذنوب ؟ الله تعالى، وإلى من نتوجه بالدعاء ؟ لله تعالى ، ومَن الذى يُجيب المضطر إذا دعاه ؟ الله تعالى

ومَن هو أقرب إليك من حبَل الوريد ؟ الله تعالى

ومَن الذي يعلم ما توسوس به نفسك ؟ الله تعالى .

والمساجد لمنْ ؟ لله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحَدا) .

ومِن ثناء الإمام عليّ كرم الله وجهه على ربه سبحانه وتعالى قوله رضي الله عنه :

«الحمد لله الذي لم يسبق له حالٌ حَالاً ، فيكون أولا قبل أن يكون آخراً ، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً ، كل مسمى بالوحدة غيره قليل ، وكل عزيز غيره ذليل ، وكل قوى غيره ضعيف ، وكل مالك غيره مملوك ، وكل عالم غيره مُتعلّم ، وكل قادر غيره يقدر ويعجز ، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ، ويَصُمُهُ كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها ، وكل بصير غيره يعمي عن خفي الألوان ولطيف الأجسام ، وكل ظاهر غيره باطن ، وكل باطن غيره ظاهر ، لم يخلق ما خلق لتشديد سلطان ولا لتخوف من عواقب زمان ، ولا استعانة على مَن شاور ، ولا شريك مكاثر ، ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون ، وعباد داخرون - أي : ضارعون - لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها

---

(٦) رواه الترمذى وغيره .

فيقال هو منها بائن، ولم يؤوده خلقه ما ابتدأ - أي : لم يعييه أو يُضعفه -، ولا تدبير مازرأ ولا وقف به عجز عما خلق ، ولا ولجت عليه شبهة فيما مضى وقدر ، بل قضاءٌ مُتقن وعلم مُحكم ، وأمرٌ مُبرَم» اهـ .

قال تعالى : **(إنه هو يُبدِىء ويُعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يُريد)** (٧) .

سبحانه وتعالى قد بدأ خلقَ الإنسان من طين ، ثم يعيده إلي الطين «التراب» ، وفي يوم البعث ينزل الماء ويُعيد الإنسان من الطين ، ويأتي الله بقول : «كُن» ، سبحان الله !، «فيكون» أي : بها تبعث الموتى .

قال تعالى :

(هو الذى يُحيى ويُميتُ فإذا قضى أمْراً فإنما يقول له كن فيكون)(٨)

(منها خلقناكم وفيها نُعيدكم ومنها نُخرجكم تارة أخرى)(٩)

ياسلام !! **(إنه هو يُبدىء ويُعيد)** سبحانه وتعالى ! يجعلك تنام بالليل ، وتستيقظ بالنهار ، فهو دائماً - سبحانه - يُبدِىء ويُعيد ، ينزل المطر ويُنبت الزرع ويجعل الفلاح يحصد ، ثم يعيد سبحانه وتعالى .

بدأ الخلق من العدم فأحياهم ، ثم يميتهم ، ثم يعيدهم تارة أخرى ، سبحان الله لا أحد غيره ، لا إله إلا الله ، كل العالَم الموتى عنده سبحانه وتعالى ، وهو الذى يعرفهم واحداً واحداً ، ويعرف أعمالهم واحداً واحداً، ويعرف أماكنهم كذلك ، ويوم القيامة يبعثهم فرداً فرداً ، ثم يحاسبهم كل واحد بمفرده ، ولا يظلم أحداً من خَلْقه .

---

(٧) البروج / ١٣ - ١٦ .

(٨) غافر / ٦٨ .

(٩) طه ٥٥ .

أحمد الله تعالى أني أتكلم بفضل الله وبقدرته ، وببركة النبى ﷺ مع الجميع .. اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه وسلم .

سُئل بعضهم : كيف عرفت الله ؟ فقال : عرفت ربي بأنَّى كلما أذنبتُ ، أتوُب إليه معتقداً أنه يتوبُ علىَّ ، ومعتقداً أنه غفَّار يغفر لي .

قال تعالى ﴿ وإني لغفار لِمن تَاب وآمن وعَمِل صَلحاً ثم اهتدى ﴾ (١٠)

روى أبو هريرة رضي الله عنه : أنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ، مُرني بِعَمَلٍ وأقْلِلْ !

قال : لا تغضب . ثم أعاد عليه ، فقا ل: لا تغضب » . (١١)

لماذا ؟ لأن الغضب يُطلِّق الزوجة ، الغضب يخرب البيت ، الغضب يقتل ، الغضب بغض وتخاصم وتشَاحُن .

وكما قال الصوفية : « المَلِك مَن مَلَك نفسه » ... وقد ورد في الحديث الشريف عنه ﷺ قال :

« ليس الشديد بالصُّرعَة ، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (١٢)

قال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون) (١٣)

مَن يُحب أن يكون دائماً في مَعية النبي ﷺ فماذا يفعل ؟

مَن يُحبّ النبي ﷺ يُصلي عليه ... اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١٠) طه / ٨٢ .

(١١) رواه البخاري .

(١٢) رواه البخاري ومسلم .

(١٣) الشورى / ٣٧ .

وبفضل الله نريد أن نصلي على النبي ﷺ، وعندما نصلي عليه ﷺ تفتح الملائكة الطريق، وتبدأ في النزول وتنزل الأنوار ، وباستمرار تفوح أعطاره التي تنشط ، وبعد ذلك تأتي الأنوار المحمدية ، وحينما تقوى روُحك ترى وتشاهد بحسب قوة ورحك الذات المحمدية .

فأكثر من الصلاة عليه ﷺ في كل الأوقات ، ومع الاستمرار تتبين لك هذه الأحوا ل، وبعد ذلك الإخلاص لله ، وكل إنسان يأخذ درجته .

هذه العبادة من أفضل العبادات ، فيها تيسير لصاحبها ، وولاية بدون ثمن سوى الإخلاص لله ، ولا يستطيع جنّ ولا شيطان أن يعاكسك ؛ لأنك في حضرة النبي ﷺ .

وعليك أن تتجنب الروائح الكريهة ، وأكل البصل والثوم .

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليما) (١٤) .

«اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومدادكلماتك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون »

« تم بحمد الله وتوفيقه ؛؛

---

(١٤) الأحزاب / ٥٦ .

الفهـــــرس

الموضـــــــوع	الصفحة
المقـــدمـــــة	٣
الدرس الثامن والثمانون	٥ : ١٧
فى تفسير قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى .... ﴾	
معنى قوله تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾	٥
جميع المخلوقات تذكر الله تعالى	٦
دعاء ابن اجروح عند ميزاب الرحمة	٧
حال الاخذ للطريق فى بداية الطريق ، وعندما يرتقى	٨
ذكر الأشجار مع الشيخ رضى الله عنه	٨
من نتائج الخلوة	٨
العم أفضل شئ فى الدنيا ـ ووظيفة النبى ﷺ	٩
بيان معنى العلو فى صفات الله تعالى	١١
الله تعالى لا يرى فى الدنيا	١٢
من الإبداع فى خلق الله تعالى	١٣
معنى قوله تعالى : (ضعف الطالب والمطلوب)	١٤
معنى قوله تعالى : (فسوّاك)	١٥
حكمة المودة والرحمة بين الزوج والزوجة	١٦
معنـــى البديـــع	١٦
حكاية الرجل الذي جاء الى سيدنا عمر يشكو زوجته	١٧
الدرس التاسع والثمانون	١٨ : ٢٨
فى شرح قول بعضهم : (إشرب شراب أهل الصفا ترى العجايب)	
ما الذى يتغير عند من يأخذ الطريق	١٨
أخوة الايمان أبقى من أخوة النسب	١٩
التمييز بين نقصان العقل وكماله	١٩
كلم عن الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه	٢٠

الموضـــــــوع	الصفحة

كل إنسان منا له رداء ظاهرى ورداء باطنى ٢١
الأولياء الأحياء لهم وظائف منها علاج الأرواح ٢١
الإنسان مركب من شيئين ٢٢
معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا ... ﴾ ٢٣
تقدير المخلوق يستوجب تقدير الخالق ٢٤
الفرق بين الملك والملكوت ٢٤
الفرق بين معنى (بيده الملك) و (ومالك يوم الدين) ٢٥
معنى تبارك الذى بيده الملك) ٢٥
من معجزات نبى الله داود ٢٥
من حكايات البوصيرى مع النبى ﷺ ٢٦
كلمة للشيخ عن والده عليه رضوان الله تعالى ٢٦
مصر بلد أهل البت ٢٧
من أخبار البركة والتبرك ٢٨

الدرس التسعون

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ والسماء والطارق ... ﴾ ..... ٢٩ : ٤٢
القرآن العظيم يدل على علم الله وعلى سعة خلق الله ٢٩
معنى قوله تعالى : ﴿ إن الإنسان ليطغى ... ﴾ ٢٩
معنى (ولا ينبئك مثل خبير) ٣٠
معنى قوله تعالى : ﴿ خلق هلوعا ... ﴾ ٣٠
معنى الحديث : (الصلاة نور) ٣٢
العقل له حدود يتوقف عندها ٣٢
ما معنى التجلى ٣٣
أول من عرف أسباب التجلى سيدنا أبو بكر ٣٤
العارف بالله تتلاشى أمامه الذات والصفات ٣٤
الإيمان عال وثمين ٣٤
الله تعالى هو الخالق والمهيمن ٣٥

الموضـــــــوع	الصفحة

الموت مخلوق والمؤمن لا يخاف منه ٣٦
أعرابى يوصى ابنه ـ حال المؤمن مع الله تعالى ٣٦
من أسرار الذكر وقراءة القرآن ٣٧
المعية في الاسلام عليها مدار كبير ٣٨
كل شئ فى الوجود حاصل بالله ، والأمر كله لله ٣٩
زيارة الأولياء ليست شركا ٤٠
مثل الأولياء كمثل الكعبة ٤٠
كيف تزور سيدنا الحسين رضى الله عنه ؟ ٤١
روائح الصالحين يعرفها الصالحون من بعيد ٤١
حكاية سيدنا عمر مع أويس القرنى ٤١
الشهداء أحياء فى قبورهم ٤٢

الدرس الحادى والتسعون ٤٣ : ٥٣

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فأين تذهبون ... ﴾ .....
كلمة عن القرآن الكريم وأثره فى الناس ٤٣
السبيل الى معرفة الله تعالى ٤٤
آثار تلاوة القرآن واستماعه ٤٤
فوائد ذكر الله تعالى ـ فائدة المسبحة ٤٦
الأولياء يريدون الحكم بالشرع ٤٧
ما زالت الأمة بخير ٤٨
معنى قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ ٤٨
سر بداية السور بالبسملة ـ اشتقاق (الناس) ٤٨
معنى (رب) و (ملك) و (إله) ٤٩
من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم ٥٠
امتحان الله لخلقه ـ الصبر على الزوجة والأولاد ٥١
حكاية الولي الذي كانت زوجته تؤذيه ٥٢
حكاية الشيخ عبد العزيز الدرينى مع زوجته ٥٢

الموضـــــــوع	الصفحـة

الدرس الثانى والتسعون ٥٤ : ٦٧

فى تفسير قوله تعالى : إنما المؤمنون إخوة ...)

الرباط بين المؤمنين لا يفنى ـ الناس فى الدنيا مختلفون ٥٤

استعن بالله فى كل شئ ٥٦

من أقوال الإمام على ٥٧

المعروف لا يضيع مع الله تعالى ـ حكاية ٥٨

سبيل النجاة من أهوال الآخرة ٥٩

معاملتك الخلق معاملة الله معك ٦٠

فى مدح أهل البيت رضى الله عنهم ٦١

فى مدح مولانا الإمام الشافعى ٦٢

من مناقب أبى بكر الشاسى الشافعى ٦٢

النفس والشيطان يزينان المعصية ـ طاعة الوالدين من طاعة الله ٦٣

عواقب عقوق الوالدين ٦٤

بر سيدنا على بن الحسين بأمه ـ قبس من دعائه ٦٥

وصيته لبعض بنيه ٦٦

فضل الصلوات الخمس ونوافلها ٦٦

أهل الجنة ينسون النعيم إذا رأوا ربهم ٦٦

من فضائل الصلاة على النبى ﷺ ٦٧

الدرس الثالث والتسعون ٦٨ : ٧٦

فى شرح الحديث : (حسين منى وأنا من حسين)

النبى ﷺ متصل بجميع أهل بيته وهم متصلون به ٦٨

أهل البيت سادات من سبقت لهم الحسنى ٦٨

علامة أهل السعادة ، وعلامة أهل الشقاء ٦٩

وسائل الشيطان فى الأغواء ٧٠

الفرق بين غضب الرحمن وغضب الشيطان ٧٠

مصائد الشيطان كثيرة ٧١

الموضـــــوع	الصفحة

لله على العبد فى النفس نعمتان ، وللعبد معه حالتان ٧٢
كن مع الله دائما ـ من حكايات ابراهيم بن أدهم ٧٣
مزايا أهل الجنة وما أعد لهم ٧٤
بيان أصحاب الأعراف ٧٥
الاستعاذة بالله تعالى ٧٥
من أخلاق النبى ﷺ ٧٦

الدرس الرابع والتسعون ٧٧ : ٨٣

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... ﴾
من تكريم المولى سبحانه لنبيه ﷺ ٧٧
من شمائل المصطفى ﷺ ٧٧
كلمة عن جد النبى ﷺ ووالده وعماته ٧٨
نسب المصطفى ﷺ ٧٩
من معجزاته ﷺ ـ أبيات فى مدحه ٨٠
بعث الناس من المقابر ـ طول يوم القيامة ٨١
الشفاعة العظمى ٨١
صفة حوض النبى ﷺ ٨٢
هل تعرض أعمال الأمة على النبى ﷺ ؟ ٨٣

الدرس الخامس والتسعون ٨٤ : ٩١

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قرارا ... ﴾
معنى قوله تعالى : ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ ٨٥
المؤمن يعرف ربه ٨٥
الله خلق الخق وقدر أرزاقهم ٨٦
متى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ ٨٦
أهل الهوى ليس لنا شأن بهم ٨٧
من أسماء الله تعالى : المميت ٨٧
انكار الكافر والعاصى يوم القيامة ٨٨

الموضـــــــوع	الصفحة
من أسرار ما بعد الموت	٨٩
حكاية عابد مع ربه	٨٩
الله تعالى لا يحب الظلم ـ ولا موت فى الآخرة	٨٩
مثل الميت كمثل السائق والسيارة المتعطلة	٩٠
السلحفاة اشتكت لربها من النسر	٩١
الدرس السادس والتسعون	٩٢ : ١٠٠
فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إن التقين في جنات وعيون ... ﴾	
حال المسلم مع المعاصى وسبيل النجاة منها	٩٢
سبب تغلب المرأة على الرجل مع كونه أقوى منها	٩٣
المطلوب فى معاملة الزوجة والأهل	٩٣
معنى اللغوب ـ والحكمة فى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام	٩٤
سؤال حول جبل قاف ـ وحول اسم (المؤمن)	٩٥
سؤال عن سيدنا الحسين ووجوده فى مصر	٩٦
سؤال عن عرض الأعمال	٩٦
سؤال عن حكم الجلوس مع الأشرار	٩٧
شهوات الروح	٩٨
إذا خرجت روح ابن آدم لم يستطيع أحد إرجاعها	٩٩
حكاية تدل على أن المدار على الخاتمة	٩٩
الدرس السابع والتسعون	١٠١ : ١٠٩
فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما .. ﴾	
إذا أردت أن يحبك الله تعالى فقم بالليل واذكر ربك	١٠١
استعد للرحيل وتأدب مع الله	١٠٢
الولاية عناية من الله تعالى	١٠٣
احذر الله وخف عقابه	١٠٤
تفسير مشاركة الشيطان فى الأموال والأولاد	١٠٥
بيان ملازمة الشيطان للإنسان ـ شيطان المسلم ضعيف	١٠٦

الموضـــــــوع	الصفحة

تذكر ربك دائما ولا تغفل عنه ١٠٧
للمؤمن ثلاث جنات ١٠٧
فضل مجالس العلم والذكر ١٠٨
هل يجوز للرجل أن يتزوج أخت أخيه من الرضاعة ؟ ١٠٩
الدرس الثامن والتسعون ١١٠ : ١١٤
فى تفسير قوله تعالى : ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ... ﴾
القرآن فيه كل شئ ١١٠
المرء على دين خليله ١١١
علامة أهل الجنة ١١٢
كلكم مسئول عن رعيته ١١٢
من أسمائه تعالى : ﴿ المؤمن ـ اللطيف ـ النصير ﴾ ١١٣
حكاية الأعرابى الذى أحسن إليه النبى ﷺ ، وزاده ١١٤
الدرس التاسع والتسعون ١١٥ : ١٢١
فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ...﴾
القصد والتؤدة من أخلاق النبوة ١١٥
زاد الروح ١١٧
معنى قوله تعالى : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ ١١٨
من ثناء الإمام على كرم الله وجهه ١١٨
معنى قوله تعالى : ﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ ١١٩
فى النهى عن الغضب ١٢٠
الصلاة على النبى ﷺ من أفضل العبادات ١٢١

(والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات)